أحمد وراشيل

فتحي عبد الغني



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : أحمد وراشيل

المـؤلف : فتحي عبد الغني

مراجعة لغوية: سامية أبو زيد

تصميم الغلاف : محمد كامل

رقـم الإيداع : ٢٠١٧/٣٧٥٩

الترقيـم الدولي : ٦-٦١-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨



الطبعة الأولى ٢٠١٧

فتحي عبد الغني

أحمد وراشيل

تنويه

هذه هي الطبعة الثالثة لمسرحيتي المسماة (دماء على حائط المبكى) وقد أدخلت عليها تعديلين.

الأول : شمل الاسم فجعلته (أحمد وراشيل) لأبعد بها عن دائرة الجدل الديني (حائط البراق أم حائط المبكى).

الثاني : إضافة مشاهد تعبر عن وجهة نظر الجماهير التي سمعتها بأذني وعانيت من قسوتها وهي بالقطع لها وجاهتها ولا يمكن تجاهلها.

من الجنون أن نتقاتل إلى الأبد.
من البلاهة أن يغيب عنا أننا آدميون تجمعنا وحدة الألم.
ألا سحقًا للسياسيين الذين يقيمون مجدهم فوق أشلائنا.
وسحقًا لمن يتصور أن رايات الله لا ترفع إلا على جماجمنا.

المؤلف

أشخاص المسرحية

ليفي : يهودي إسرائيلي في أواسط الخمسينيات

العربي : فلسطيني في أواسط الخمسينيات تقريبًا

راشيل : فتاة يهودية في العشرينيات

الشاب : فتى عربي في العشرينيات

زكي : يهودي إسرائيلي في العشرينيات

الزوجة: زوجة ليفي في بداية الخمسينيات

الفصل الأول

المشهد الأول

(ردهة في منزل عتيق بذلت محاولات ملحوظة لجعله أكثر حداثة.. يوجد سلم يؤدي إلي الطابق العلوي.... الدرابزين لامع بدرجة لافتة للنظر، يوجد أنتريه، في جانب من الصـــالة توجد مائدة طعام صغيرة).

زكي: (مقدما نفســه للجمهور) أنا زكي، زكي المصــري، كل العالم دول يا إســرائيليين يا عرب أنا لا من دول ولا من دول..... أنا إيه؟ أنا يهودي مصــري باشتغل عند يهودي ألماني اســـمه ليفي جدعون مدير بنك شـــهير هنا في القدس، بيني وبينكم ولا يســـخن دماغي، كل العالم اللي انتم شـايفينهم دول أولاد حوا وآدم.... إلا أنا.... ابن مين؟ ابن توت عنخ آمون هـاهـاهـا تقولوا لي مين توت عنخ آمون؟ أقول لكم معرفش... أهو كده وخلاص... الراجل ده له حكاية لا يمل من تكرارها..... زمان من يجي ٢٠ والا ٢٥ ســنة، بتوع الجســتابو كانوا هيمســكوه وانتم عارفين بقى كانوا هيعملوا فيه إيه... هرب هو وزوجته وبنته في جنح الليل.... حلوة جنح الليل دي...... ههريكم فصـــحى بس صـــبركم عليا لغاية لما يبدأ العرض، احنا لســه بنتكلم بصـفة ودية.... لكن لما نخش في الجد هيبقى فيه كلام تاني، أصـــل العرض، مأســـاة مريعة، فاجعة رهيبة، لا تقولي شـكسـبير ولا بمبة كشــر ولا أرســين لوبين لالالا حـاجـة فظيعـة خـالص بس أنـا عـارفكم يـا مصـــريين مالكمش تقل على الحزن، أنا جيت إســرائيل دي وعمري، ١٥ سنة.

جيت مع أبويا عم مراد الساعاتي ما تلاقيكم سمعته عنه، دكانه كان في العتبة الخضـــرا في الجانب اليمين من الســما آه خلوا الســما على شــمالكم، هو في الحال يبقى على يمينكم... عليكو نور.

العتبة اللي اشـــتراها إســـماعيل يس، كنت هموت من الضحك أنا وحمدي صاحبي لما اتفرجنا على الفيلم ده في سينما مترو، أبويا فضل حزين على فراقه لمصر من سنة ٥٦ لغاية لما مات السنة اللي فاتت، أمي ربنا يخليها لي هي اللي عايشـة نفسـها ترجع مصـر لكن ازاي؟ وأنا كمان نفسي أشوف حمدي صاحبي ونخش سينما مترو مع بعض ونصيع في الشوارع مع بعض، لكن ازاي؟ معرفش.. كنت مدفعجي في حرب ٦٧، والله وما لكم عليا يمين إن كل قذيفة كانت تطلع من مدفعي أقول يا رب ما تصـيب حد، لكن بيني وبينكم عمري ما صرحت بشعوري ده، أصل انت كإسرائيلي لازم تكون حويط قوى، وتكون شـرس وتكون عدواني وتكون شكاك وإلا تروح في أبو نكلة، أصل إسرائيل دي بيني وبينكم بتدار من الخارج، من عندهم، من عند مين؟ والله ما اعرف، بالكم لو بتدار من الداخل كان قلبها بقى أبيض زي كل اللي حواليها، كانت تضـحك وتفرفش وتقول نكت زيكم، قصدي زينا. أصل أنا باعتبر نفسي مصري، أبويا مصري وأمي مصرية هبقى أنا مختلف بتاع إيه!

الراجل ده مشـغلني كل حاجة، فراش، بودي جارد، سـواق، وبالمناسـبة كمان سـكرتير. أصـل أنا معاي ليسانس، أيوه أنا جامعي، بس بالأمانة بيدفع لي كويس، ما انا أصلى حاسبها، ديروا بالكم، لو اشتغلت مدرس تاريخ، هاخد مرتب مدرس تاريخ وبس، لو اشـتغلت سواق، هاخد مرتب سواق وبس، لو اشتغلت فراش... قلت الله ما اشتغل كل دول وأش...

التاني ما فاتتوش قال لي لأ أنا كده من حقي خصم كمية، شغل يهود بقى. بات امبارح أحلى ليلة في حياته. آه مقلتلكمش، راشيل وصلت امبارح، راشيل مين؟ بنته،وأول مرة في حياته يشوفها.... لا... صبركم عليا، فيلم هندي إيه؟ ما هي دي الحكاية، إيه رأيكم نبدأ العرض؟

نبدأ العرض، اديها يا مخرج تترارا ته ته.

(موسيقى قوية..... تخفت الموسيقى)

المشهد الثاني

(منطقة حدود تفصـــل بين ألمانيا وســـويســـرا، الظلام مخيم، رجل معه امرأة تحمل طفلة في اللفة، عن بعد يظهر ضـــوء خافت)

الزوجة: تعبت تعبت.

ليــفي : لازم تتحملي.

الزوجة: إلى متى؟

ليــفي : غايتنا الضوء الذي هناك... أترينه؟

الزوجة: بعيد بعيد.

ليـفي : حياتنا نحن الثلاثة معلقة على هذه المسافة الصغيرة.

الزوجة: شتات.... شتات إلى آخر العمر لماذا كتب علينا نحن دون خلق الله!؟

ليــفي : لو نجونا هذه المرة لن يكون هناك شتات بعد ذلك أبدًا.

الزوجة: القدس؟ أليس هذا ما تلمح له؟

ليـفي : لا وجهة لنا سواها.

الزوجة: وأنا لا وجهة لي إلا الولايات المتحدة.

الزوج : لن أفعلها أبدًا.

الزوجة: سنرى كلمة من التي ستنفذ.

الزوج : افهمي يا حبيبتي، من يضـــمن لنا أن الأمريكيين لن يســـتيقظوا ذات يوم ليكتشـــفوا أننا يهود وتحق علينا نفس اللعنة؟

الزوجة: لن يفعلوا ذلك أبدًا.

الزوج : من يضمن؟

الزوجة: لأنـهم أنفسهم أبناء شتات.

الزوج : لهم أوطان يعرفونـها ومقيدون في سجلاتـها.

الزوجة: لفظتهم، وإلا ما الذي أجبرهم على تركها؟

ليـفي : أنت تحلمين... الإنسان هو الإنسان.

الزوجة: أنت عقلك طار.... الجستابو خربوا مخك من اللحظة التي غادرت فيها مكتبك الفخم في دريزينر   بانك، ليفي جدعون أنت انتهيت....

(صوت بكاء الرضيع)

الزوجة: تريد الرضعة، أين البزازة؟

ليـفي : ها هي، أسكتيها بسرعة؛ صوتها سيكشفنا.

(لنفســـه) عقلي طار؟ نعم طار، لأجل هذا قررت أن تكون وجهتي الوحيدة هي مجمع المطـاريـد، هنـاك يصـــبح بقائي رهنًا بمشـــيئة بندقيتي وما في حوزتي من رصـاص وقنابل، البانكير الهادئ المهذب أصبح من المطـاريـد. جنون؟ نعم جنون، هســـتريـا؟ نعم هســتريا، واصــل، اســع، اتحرك، ســنصــل، حتمًا سنصل.

(عودة للمنظر الأول)

زكـــي : إدت له بمبه، تظاهرت بموافقتها على السفر لفلسطين وسهته

وهوب يا فكيك، وبعدين قوى، عرف إنها هي والبنت في لاس فيجاس، وطبعًا هو من ساعتها شد الرحال على القدس ولبس أفرول وبقى عضـــو في الهاجانا، الآلي على كتفه وقنابله في جيبه ويا قاتل يا مقتول.

(العودة للعرض)

ليـفي : (يظهر ليفي) زكي، يا زكي.

زكـــي : أمرك سعادة البك.

ليـفي : السيارة جاهزة؟

زكـــي : تمام يا فندم.

ليـفي : كشفت على الإطارات

زكـــي : تمام يا فندم.

ليـفي : على الزيت؟

زكـــي : تمام يا فندم.

ليـفي : على الوقود؟

زكـــي : تمام يا فندم.

ليـفي : الفرامل؟

زكـــي : تمام يا فندم.

ليفي : أليس عندك غير تمام يا فندم التي أتيت بها من مصر؟ لماذا لا تأتون من بلادكم بجيناتكم فقط؟ لماذا تصحبون معكم عاداتكم وتقاليدكم وروائحكم الكريهة، قل لي أين ستذهب اليوم؟

زكي : تمام يا فندم.

ليفي : انطق.

زكي : سآخذ لهطة القشطة.

ليفي : تأخذ ماذا يا زكي؟

زكي : لهطة القشطة يا سيد ليفي.

ليفي : اسمها راشيل يا زكي....... راشيل.

زكي : هي راشيل عندما لا تكون بهذا الجمال، لكن عندما تكون كذلك نسميها في مصر لهطة القشطة، وعندما تستوي وتعوز الأكال نسميها مزة.

ليفي : مصر، مصر متى ستنسى مصر هذه؟

زكي : دلني على طريقة، حبها معشش في نخاشيشي.

ليفي : وأنا مثلك يا زكي، حبها ملك علي كل نفسي.

زكي : مصر؟

ليفي : أم راشيل يا متخلف.

زكي : وما الذي فكرك بها بعد كل هذه السنين؟

ليفي : البنت صورة طبق الأصل من أمها.

زكي : كانت بهذا الجمال؟

ليفي : (يهز رأسه بأسى)

ليفي : وتركتها؟

ليفي : (يهز رأسه بنفس الطريقة)

زكـي : لا اسمح لي.

ليفي : (يهز رأسه بنفس الطريقة)

زكـي : لا معلش حضرتك.

ليفي : (يهز رأسه بنفس الطريقة مستسلمًا لتلميحات زكي)

زكـي : لازم...

ليفي : نعم خالفتها، قالت أنت من طريق وأنا من طريق.

زكـي : امرأة بهذا الجمال يذهب المرء معها إلى الجحيم وهو الكسبان.

ليفي : (بأسى عميق) عندك حق.

زكـي : بنتك هذه التي تشبه أمها ستجعل القدس تقف على قدم وساق.

ليفي : آه يا زكي لو يحدث ما أفكر فيه.

زكـي : (بلهفة) ما هو سيد ليفي؟ ما هو؟

ليفي : لا شيء لا شيء، انس.

زكـي : لا تريد أن تقول؟ أنت حر أنا يا ما حليت لك مشاكل.

ليفي : هذه مشكلة لا انت ولا غيرك يقدر يحلها.

زكـي : جربني.

ليفي : بقاؤها في إسرائيل إلى الأبد... اتفضل حل.

زكـي : أهذه هي المشكلة؟

ليـفي : عندك حل؟

زكــي : وأبسط مما تتصور.

ليـفي : الحقني به.

زكــي : أعلقها لك (وانس) ماتت في دباديبي انس.

ليـفي : ماذا؟

زكــي : خلاص.

ليـفي : خلاص ماذا؟ تكلم.

زكـــي : سترقد بجواري في القدس. هي المزز هكذا، إذا حبوا خلاص ياالله السلامة.

ليـفي : (بحرقة) آه ما يلزمني يا الله السلامة هذه.

زكــي : ادفع.

ليـفي : ماذا؟

زكــي : هذه وظيفة جديدة ولها حسابها الخاص.

ليــفي : لا تسرف في الهزار يا زكي، افهم، البنت لو تركتني سأموت.

أنا عشت طوال السنوات السابقة لهدف واحد، هو استردادها.

زكــي : قلت ما عندي.

ليـفي : أتظن هذا هو الحل؟

زكــي : والوحيد.

ليــــفي : شــاب وسـيم شـيك ذكي تقع في حبه؛ لن تفكر في مغادرة إسرائيل أبدًا، هذا ما تقصده؟

زكــي : عليك نور. والآن ليس أمامنا إلا البحث عنه.

ليـفي : لكن من أين؟

زكـــــي : نقلب الدنيا، نفتش الشوارع، الأسواق، الحارات، لا نترك خرم إبرة.

ليــــفي : صح نقلب الدنيا حتى يقع في أيدينا، ولو حدث؛ لن أدعه يفلت أبدًا

والآن امسـح السـيارة ولا تنس الاسـبراي، انتظر، أين ستذهب بها؟

زكــي : كما اتفقنا ألففها القدس شبرًا شبرا.

ليـفي : تبدأ بحائط المبكى.

زكــي : أو كي.

ليـفي : اسمع.

زكــي : ماذا؟

ليـفي : ألا تسمع شيئًا؟

(زكي يتسمع)

زكــي : موسيقى.

ليـفي : موسيقى؟

زكــي : نعم.... خطواتها على الأرض نغم.

ليـفي : استيقظت، اذهب أنت، انتظر، جهزت الإفطار؟

زكــــي : تمام يا فندم، الأطباق في المطبخ. ما عليك إلا أن تحملها وتضعها على ترابيزة السفرة.

ليـفي : اجري.

(زكي يخرج، ليفي يقف أسفل السلم ينادي)

ليـفي : راشيل.

راشيل : (من أعلى) حاضر داد.

ليـفي : البرنامج حافل.

راشيل : دقيقة واحدة وستجدني أمامك.

ليفي : (بحماس شديد) ستقفين اليوم أمام حائط المبكى يا حبي.

راشيل : أحقاً؟

ليفي : (بانفعال شديد) نعم، وسترين القرون البعيدة وهي تتدفق أمام عينيك كشلال هادر لتحكي قصة الآباء الأعزاء على هذه الأرض المقدسة.

راشيل : حالا.

(يدندن وهو ينقل الأطباق من المطبخ إلى السفرة، راشيل تهبط السلم، لها وجه جميل مفعم بالبراءة، بالغة الحيوية والتدفق)

راشيل : هل تأخرت عليك؟

ليفي : (بانفعال) حبيبتي راشيل... لا أصدق أنك أمامي.. اقرصيني راشيل ... ازغديني راشيل... اصفعيني راشيل.. اركليني راشيل افعلي أي شيء يؤكد لي أني لست أحلم.

راشيل : داد؟

ليـفي : يا روح داد، يا مقلة عين داد.

(يتوجه بها إلى منضدة الطعام ويده على كتفها)

هيا اجلسي هنا أمامي، دعيني أمتع عيني بالنظر إليك، وأنت تأكلين، وأنت تشـربين، وأنت تبتسـمين، وأنت تروحين وتجيئين.

راشيل : سـأقضـي معك أسـبوعًا كاملا داد، سـتشـبع مني بكل تأكيد

ليـفي : أنا؟ أشبع منك؟ العمر كله لا يكفيني حتى أشبع منك.

راشيل : داد.

ليـفي : راشيل.

راشيل : شرطي كان أسبوعًا واحدًا.

ليـفي : هو شرط أمك راشيل....... كأنه لم يكفها حرماني منك خمسة وعشرين عامًا.

راشيل : داد.

ليـــــفي : أمك امرأة يخدعك هدوؤها ورقتها لكنها في الحقيقة بالغة القسوة.

راشـــيـل : أرجوك داد أنـت تعرف مـدى ارتبـاط أمي بي وارتباطي بها.

ليـفي : وأنا الذي حرمت منك ألا تسمحين له بمدة أطول قليلا حتى..

راشيل : حتى ماذا؟

ليـفي : (مرتبكًا) حتى أحصل على بعض من حقي.

راشيل : داد هذا مستحيل.

ليـفي : أرجوك لا تقولـي مستحيل ... أكملـي إفطارك حبيبتي.

راشيل : كفانـي هذه.

(تتناول شـــطيرة تدهنها بالزبد وتتوجه للأنتريه، ليفي يمسح فمه ويتبعها)

ليـفي : سهرتنا الليلة أعدها أصدقائي لك في فندق الملك داوود وسأقدم لك مفاجأة لم تحلمي بها في حياتك.

راشيل : أحقًا داد؟

ليـفي : حزري ما تكون؟

راشيل : من أين لـي أن أعرف؟

ليـفي : حتى لو حاولت فلن تخطر لك على بال.

راشيل : لابد أنـها شيء هام جدًا داد.

ليـفي : ثمين.. ثمين.. ثمين.

راشيل : ما هي داد؟

ليـفي : مفاجأة.

راشيل : بليز داد.

ليـفي : لا تحرقيها راشيل.

راشيل : (تقبله) قل.. قل لن أصبر لحظة واحدة.

ليـفي : نو.. نو.

راشيل : داد هازعل.

ليـفي : جهزي نفسك إذا للمفاجأة.

راشيل : أوكـي أنـا جاهزة.

ليـفي : البيت.

راشيل : لا أفهم.

ليـفي : هذا البيت.

راشيل : ماذا عنـه؟

ليـفي : سأهديه لك راشيل.

راشيل : البيت الذي نجلس فيه الآن؟

ليـفي : آه .. نعم.

راشيل : أنت تمزح داد، أليس كذلك؟

ليـفي : أبدًا صدقيني.

راشيل : لكن..

ليـفي : المفاجأة ألجمت لسانك، صح؟

راشيل : الحقيقة أنا...

ليـــفي : وخذي هذه أيضًا، محافظ القدس سيشهد على عقد التنازل... هذا شرف كبير يا راشيل يعطيك فكرة عن مكانتي في هذه المدينة.

راشيل : لكن داد أنا لست في حاجة إلى بيت كهذا.

ليـــفي : قديم ؟ ... أوافقك، متهالك؟ أتفق معك، ومع ذلك فهذا هو أغلى ما فيه.

راشيل : داد أنت لم تر قصر أمي، أنت لم تر حديقته المترامية الأطراف.

ليـفي : (مقاطعًا) لكن هذا شيء آخر يا حبي الوحيد.

راشيل : من أي ناحية؟

ليـفي : (مختالا) له حكاية.

راشيل : حكاية؟

ليـــــــفي : حكايات.. إياك أن تنظري له على أنه حفنة من الجدران إنه حقب، قرون، عصور.

راشيل : (بتهكم) حكايات، حقب، قرون، عصور؟ لا أفهم..

ليـــفي : حكايات الدنيا... حكايات أبراهام... وموسى وعيسى ومحمد؛ حكايات الوجود كله.

راشـــيل : ما شـــأني بهذه الحكايات داد؟ ما شـــأني بالحقب والعصور؟ كل هذا لا يعنيني.

ليـفي : (يصدم) ماذا؟ لا يعنيك؟ قلت لا يعنيك؟ (يتراجع) آه، صــحيح، (لنفســه) الحكايات لا تعنيها، العصــور لا تمثل لها شــيئًا، (لها) لديك حق، بيت قديم متهالك، حكاياته لا تعنيك، ننساه.. ننساه إذًا، لا ندع أي شيء يفسد علينا هذا اليوم المشرق البديع، (لنفســه) برافو ليفي، تحكمت في نفسـك، كنت سـأصـفعها ثم أفقدها للأبد. ليس أمامي الآن غير لعب دور الأب الحنون. (ينادى) زكي.

(يحضــر زكي مســرعًا غير أنه عندما يرى راشــيل يوقف اندفاعه ويتقدم نحوها ويركع أمامها بطريقة مسرحية)

زكــي : مولاتي بلقيس.. شبيك لبيك عبدك بين اديك.

راشيل : (تضحك) ما هذا يا زكي، أنت ممثل أيضًا؟

ليــــفي : مصري، ألعبان، احذريه يا راشيل، لا تسمحي له أن يخدعك كما خدعني، صـــديه، ازجريه، العنيه، يحصـــل مني على خمس مرتبات مرتب، عن كل وظيفة يؤديها مع أن هذا مخالف للقانون، المفروض أني اســتأجرت شــخصــه بكل مقوماته المادية والمعنوية، يعني لو رسـم صـورة لو ألف رواية لو قال نكتة كله كله من حقي، أليس كذلك؟

زكـــي : أنا أعترض بشدة يا آنسة راشيل على اعتبار ما قمت به تمثيلا ... أنت بلقيس بجمالها بكبريائها بعظمتها.

راشيل : قم... صدقتك.

ليـفي : جهزت السيارة أليس كذلك؟

زكـــــي : المشكلة الآن ليست في السيارة، المشكلة في رجل على الباب لا يريد مغادرة المكان قبل أن يقابلك.

ليـفي : وأنا لن أقابل أحدًا اليوم.

زكـي : ولكن هذا الرجل...

ليــــفي : (مقاطعًا) افهم، هذا يوم سعدي، هذا يوم راشيل وكل أيامي من الآن فصاعدًا هي أيام راشيل. والآن انطق، السيارة جاهزة؟

زكي : (لا يرد) .....

ليـفي : تكلم.

زكــي : (لا يرد): .....

ليـفي : انطق يا بني آدم.

زكــي : فشلت في إدارتها وطلبت الميكانيكي لإصلاحها.

ليـــفي : وتمام يا فندم أين ذهبت؟ طارت؟ الوقود تمام يا فندم الفرامل تمام يا فندم. لو القرار بيدي لأعدتك لمصـــر فورًا لتعش هناك في مســـتنقع تمام يا فندم... اذهب؛ أصلحها بسرعة.

زكــي : وماذا بشأن المتطفل الذي على الباب ؟

ليـفي : اطرده.

زكــى : ومن قال إني لم أفعل؟

ليـفي : فعلت؟

زكــي : ولم يحرك ساكنًا.

ليـفي : ماذا يريد؟

زكــي : لا أعرف، كما أن معه شابًا.

ليـفي : شاب؟

زكـي : نعم شاب.

ليـفي : لاحظ، قلت شابًا.

زكـي : أقسم لك أن معه شابًا.

راشيل : (وهي تراقب حوارهما مندهشة) يعجبني حوارك مع زكي جدا داد.

ليـفي : وسيم؟

زكـي : جدًا.

راشـيل : ما هذا داد؟ هل على الإنســان إن أراد مقابلة في هذا البلد أن يكون وسيمًا وماذا لو كان قبيحًا؟ هاهاها؟

ليـــــــفي : انتظري راشـــيل. اســـمع يا ولد يا زكي، تفتكر ممكن....؟

زكــي : جدًا، جدًا.

راشيل : ممكن جدًا ماذا داد؟

ليـفي : (لزكي) يعني...

زكـــي : جدا جدًا.. جدًا.

راشيل : يعني ماذا داد؟

ليـفي : أحضره بسرعة.

راشيل : أريد أن أفهم داد.

ليـــفي : لا تشغلي رأسك بنا حبيبتي. لماذا أنت واقف؟ اذهب ونفذ ما قلت.

زكـــي : والخازوق؟

ليـفي : أي خازوق؟

زكـــي : الرجل الذي بصحبته؟

ليـفي : يحضر الشاب والخازوق، ما المشكلة؟

راشيل : هاها ها غير معقول، مدهش.

ليـفي : ولد ملعون.

زكـــي : يا سيد ليفي اسمعني.

ليـفي : قلت استدعهما، سأقابلهما، ألا تفهم؟

زكـــي : الرجل يا سيد ليفي يرتدي عقالًا وكوفية؟

راشيل : أحضره بعقاله وكوفيته ها ها ها، غير معقول.

ليـفي : إسرائيلي عربي تقصد؟

زكــي : عربي سك.

ليـفي : اصرفه فورًا.

راشيل : ولماذا داد؟

ليـفي : ألم تسمعي .... عربي سك يا فتاتي.

راشيل : نضع له قالبين تلج ها ها ها.

ليـفي : ها ها ها، يا لك من فتاة خفيفة الظل.

راشيل : داد هذه المرة لابد أن أعرف لماذا ترفض مقابلته؟

ليـفي : ألم تسمعي؟ عربي.

راشيل : وماذا في ذلك؟

ليـفي : أجلاف متخلفون.

راشيل: باردون داد، عمر الشريف عربي ومع ذلك هو إنسان بالغ الرقة.

لقد استضافته أمي على العشاء ورقصت معه. لا تتخيل داد مدى جاذبيته، والأكثر، يشعرك وكأنك تعرفه من قديم الأزل؛ تصور؟

ليـفي : فلتة، استثناء، شخص واحد لا يمكن أن يعبر عن أمة.

(يفاجأون بدخول العربي، رجل نحيف صلب العود له وجه لوحته الشمس، بصحبته شاب في مقتبل العمر، متوسط الطول، واضح الوسامة، على شفتيه ابتسامة دائمة، يرتدي تي شرت وبنطلون جينز)

العربي : صباح الخير يا سيد ليفي.

زكـــي : (يهجم على العربي) يا نهارك أسود من السواد!

ليـفي : (لزكى بعصبية) كيف تسمح له؟

زكـــــــي : (مقاطعًا) لم أسمح، ناديتني، أسرعت إليك، تركت الباب مفتوحًا، لم أتصـــور أن تصـــل بـه الجرأة والوقاحة ول ......

راشــيل : (مقاطعة) داد لماذا تجعل منها مشــكلة؟ (للزائرين) أهلا بكما.

ليـــــفي : (لنفســه) اضبط نفسك يا ليفي. تسلح بالرقة، البنت ســتنفر منك، كن ودودًا. آه هذه هي الكلمـة ودودًا (لزكي) اذهب أنت وجهز السيارة.... ودودًا.. ودودًا.

زكـــي : (ينظر للرجل بعدوانية) ولكن هذا الوقح ....

ليـفي : (مقاطعًا بمزيد من العصبية) قلت اذهب أنت.

العربي: أقول صباح الخير يا سيد ليفي.

ليـــــفي : (لنفســه) ودودًا، صـباح الخير أيها العربي.. ماذا تريد؟ وهل ســبق لي معرفتك؟ وهل لديك ميعاد سابق؟

راشيل : (هامسة) لما أنت فظ معهما هكذا داد؟

ليـفي : (هامسا) أنا؟ فظ؟ (ببالغ الكياسة رغمًا عنه) أهلا بكما أيها السيدان.

راشيل : (عندما يتطلع إليها مستفسرًا) أكثر.

ليـفي : (ينحني لهما) مرحبًا بكما أيها السيدان.

راشيل : أكثر داد.

ليفي : (ينحني أكثر) مرحبًا بكما أيها السيدان.

راشيل : رائع داد.

ليـــفي : هل سبق أن تشرفت بمعرفة أي منكما أيها السيدان المبجلان؟

راشيل : رائع داد.

العربي: (بمنتهى الكياسة والتودد وبانحناء مماثل) لا يا سيدي لم يسبق أن حزت على هذا الشرف العظيم ولا حتى بالنســبة لابني هذا.. تقدم يا أحمد وســلم على عمك ليفي.. إنه من علية القوم هنا في القدس، وســلم على الآنســة الجميلة (العربي يقدمه لها بكل اعتزاز وفخر) ابني أحمد.. كان يدرس الطب في أمريكا.

راشيل : (تصيح فرحة) أمريكا؟

العربي: ادخل عليها... الضم.

ليفي : (لنفسه يتحسر) الولد وسيم فعلاً.

الشاب: أنهيت دراستي في الواقع.

راشيل: أصبحت طبيباً إذًا؟

الشاب: جراحًا.

ليفي : (لنفسه) البنت يمكن أن تقع في هواه.

العربي: اكشف على عمك ليفي.. اخلع ملابسك يا سيد ليفي ودعه يكشف عليك اخلع.. اخلع.

ليفي : (يجفل منه) أنا لست مريضًا.

العربي: ربما يكون عندك سكر اخلع، أو ضغط اخلع... دعنا نلحقك.

ليـفي : صحتي بمب.

راشيل : هذا يعني أنك عشت ثمان سنوات في أمريكا.

العربي: من مواليد أمريكا.

راشيل : أيضًـا!؟

العربي: قل لها أين كنت تقيم... الضــــم... قل... إنها ابنة عمك ليفي سيد هذه المدينة وتاج راسها.... الضم.

الشـاب: كنت في لاس فيجاس.

راشيل : (صارخة) يا إلهي .... لاس فيجاس!؟

الشـاب: نعم لاس فيجاس، ماذا في ذلك؟

راشيل : أسمعت داد؟

ليـفي : (لنفسه وكأنه يولول) ورأيت ؟.... آه.

راشيل : إنها مدينتي... لم أغادرها إلا أمس فقط.

العربي: مثلك يا أحمد، هو أيضـــاً لم يغادر فاس في جاز إلا بالأمس، قل لها كل شيء، (يزغده) الضم.

راشيل : أتعني أن هذه أول مرة تحضر فيها إلى هنا؟

العربي : (يزغده) الضم.. الضم.

الشـاب : أنا أمريكي.

العربي : (يزغده) شاطر.

الشـاب : ولدت في منزل خالي حسين.

العربي: لا تتوقف أكمل وراء بعضه وراء بعضه (يلقنه) قل لها من يكون خالك حسين وزوجة خالك حسين الأمريكية وبنت خالة زوجة خالك حسين الصينية وابن عمة زوجة خالك حسين الإيطالية وأبو ست زوجة خالك حسين المالطية، الضم قل لها خالك حسين مناسب الأمم المتحدة، والأمم المتحدة في نيويورك ونيويورك على المحيط الباسيفيكي والمحيط جزء من الكرة الأرضية والكرة الأرضية جزء من المجموعة الشمسية.... الضم.

راشيل : يا لها من مصادفة.. تصور داد!

العربي: (متهللا) تصور داد.

ليفي : تسلحي بضبط النفس.

راشيل : ألم تسمع داد؟

العربي : ألم تسمع داد ؟

ليفي : (بصوت هامس) لا تنسي أنه عربي.

راشيل : عربي كيف يا داد؟ إنه أمريكي أكثر منى فأنا من مواليد ألمانيا.

العربي: (يصيح مستنكرًا) لا.... ابني أمريكي عيار أربعة وعشرين، اتفضل قلب... عاين بنفسك (يدور حول أحمد) هل هذا يمكن أن يكون شيئًا آخر غير أمريكي؟ وأنت يا آنسة عايني، قلبي، مدى إيدك، بضاعة لا مثيل لها.. هه.

راشيل : (تدور حوله هي الأخرى وتتحسسه) لا أمريكي، أمريكي جدًا جدًا ها ها ها، لا تندهش يا أحمد الناس هنا لهم تصرفات غريبة مجانين نوعًا لكن دمهم خفيف، تعال يا أحمد.

العربي: الضم.

ليفي : إلى أين يا راشيل؟

راشيل : (بجذل شديد) كيف لا تهنئني داد؟ ألا ترى أني حصلت على بوي فريند هنا في القدس؟

العربي: هنئها يا سيد ليفي هنئها. (لابنه) الضم. (لنفسه) بداية غير متوقعة، أعتقد أنها تمنحني الحق في الجلوس.

راشيل : (لأحمد) رغم أن هذا البيت قديم وعتيق ولا يساوى شيئًا.

العربي: ولا شيكل... الضم.

راشيل : إلا أن له شرفة رائعة تطل على بستان مليء بأشجار البرتقال، آه من رائحة زهور البرتقال هنا يا أحمد رائعة، رائعة. تعال ودعنا نتحدث عن كل شيء؛ بالتأكيد لك أصدقاء في لاس فيجاس أليس كذلك؟

العربي: بعدد شعر رأسه، الضم.

راشيل : عندما يأتي زكي بالسيارة سنتجول معًا في هذه المدينة، هل لديك مانع؟

العربي: أبدًا.. أبدًا.

الشاب: أنا في إجازة.

العربي: كلنا في إجازة.. وآدي قعدة (يتجرأ ويجلس)

(وهى تصعد السلم) هذا السائق المجنون طول الطريق من تل أبيب للقدس بدلًا من أن يحدثني عن إسرائيل ظل يحدثني عن مصر. وكأن مصر هذه جنة الله في أرضه، لكن أليست هي بلد عمر الشريف؟

ليـفي : (وكأنه يحدث نفسه) إلى أين يا راشيل؟

العربي: وفاتن حمامة، الضم.

راشيل : من تكون حمامة؟

الشاب: لا أعرف بابا منذ أن قابلته وهو يقول أشياءً كثيرة كل منها في حاجة لمرجع.

راشـــيل : الناس هنا مختلفون جدًا، تصـــور أن داد يحب هذا البيت حبًا يفوق الوصـــف... لماذا؟ لأن له حكاية. تصـور ليس الموقع وليسـت المسـاحة وإنما الحكاية هاهاها.

الشــــاب : ربمـا تكون وحـدة القيـاس هنـا بـالحكـايـات وليس بالأمتار ها ها ها.

ليـفي : (بعد اختفائهما ممسكا بالدرابزين وناظرًا لأعلى) ليس بهذه السرعة تصعد الفتاة يا راشيل.. غالباً ما يلزمها بعض الوقت.

العربي: نحن في عصـــر الســـرعة، لا أحد ينتظر أحدًا، كله يجري.

ليـــفي : (لنفسه بأسى ومتجاهلا العربي تمامًا) كأمها........... كانت سريعة الاشتعال هكذا.

العربي: الاشتعال.... ياه!

ليـفي : الصعود أيامها كان ممتعًا.

العربي: الصعود.. ياه.

ليـفي : (يناديها يائسًا بعد أن تختفي) راشيل.

العربي: راشيل.. ياه.

(يترك ليفي الدرابزين وقد أسقط في يده ويضع رأسه بين يديه ويغيب في صمت)

العربي: (الذي يربع رجليه على الكرسي وكأنه في بيته ويخرج سبحة من جيبه) سيد ليفي أنت بخير، أليس كذلك؟

ليفي : (منصرفًا عن العربي ومحدثاً نفسه) كيف حدث هذا وبهذه السرعة؟

العربي: سيد ليفي أنت تحدث نفسك.

ليفي : (لنفسه وبنفس التون السابق) أفرح أم أحزن؟

العربي: سيد ليفي أنت في حالة شديدة من القلق.

ليفي : زكي قال إذا البنت أحبت في إسرائيل ستبقى في إسرائيل.... طبعًا أفرح.... لكن الولد عربي... طبعًا أحزن.

(يضرب كفًا بكف) عربي : يا راشيل... عربي يا راشيل... يخرب بيت أمك يا راشيل.. عربي يا راشيل.. اللعنة على أمك يا راشيل .

(يجهش بالبكاء)

العربي: سيد ليفي.. أنت تبكي.

ليفي : (يتوقف عن البكاء مرة واحدة كمن واتته فكرة) لكن إذا كانت البنت صعدت بالولد في مثل هذا الزمن القياسي، ألا يعني هذا أن بإمكانها الصعود بغيره في مثل هذا الزمن القياسي؟

العربي: سيد ليفي، أنت تفكر.

ليـــــفي : (منصــرفًا عن العربي ومواصـــلا) وإذا كان أول الصـــاعدين عربياً ما الذي يمنع من أن يكون ثاني الصاعدين إسرائيليا؟

العربي: أنت تضحك يا سيد ليفي.

ليـــفي : (ينقض على العربي فجأة) سأخرب بيتك، سأطلب الشرطة لتضع الحديد في يديك فورًا.

العربي : (منزعجًا) سيد ليفي كنت بعقلك ما الذي حدث لك؟ حاسب ستخنقني.

ليـــفي : من أتي بك إلي هنا؟ ثم، وهو الأهم، من أنت؟ وماذا تريد؟ ثم ولماذا تزورني في بيتي دون موعد ودون سابق معرفة؟

العربي: (مرتبكًا محاولا تخليص نفسه) أنا كنت أسير في هذه المدينة.

ليفي : لنفرض؟

العربي: .. ألا تتفق معي على أنها مدينة تاريخية.

ليفي : لنفرض؟

العربي: شـــم (العربي يتشـــمم الهواء بقوة) عبق تاريخي يرد الروح، شم شم.

ليفي : (يتشمم) نعم تاريخية.

العربي: شم أكثر شم، ياه تسكر.

(ليفي يتشمم بقوة أكثر)

العربي: توراة وعهد قديم وعهد جديد شد شد، شد جامد أين قوتك يا رجل؟

ليفي : (تأخذه الحمية ويسحب نفسًا أعمق)

العربي: (يشير للناحية الأخرى) ومن هذه الناحية أيضًا، هه تاريخية؟

ليفي : تاريخية جدًا، تاريخية بعنف، لكن ليس من المعقول أنك جئت إلى هنا لتشممني المدينة التي أعيش فيها، وإلا فهذا يعني أنك شخص مخبول.

العربي: لا لا، جئت لسبب مختلف تمامًا؛ جئت لأقول لك إني من غزة.

ليفي : يا سلام من غزة؟ هو من غزة، عظيم جدًا ثم ماذا؟

العربي : أنا في الأصل لست من غزة.

ليفي : ثم ماذا؟

العربي: في الحقيقة بعد أن من الله عليكم بالنصر سنة ٤٨ أصبحت أنا وزوجتي لاجئين ونعيش في غزة.

ليفي : دراما من النوع الرخيص ومكدسة على أرصفة الشوارع في كل بلاد العالم المتخلف.

العربي: أنت تعرف أن مدينة غزة كانت في السابق تحت حكم ما يسمى (يصدر صوتا من فمه) بجمهورية مصر.

ليفي : (يصدر نفس الصوت) آه.

العربي: (منساقاً ومحاولاً إرضاء غروره) طبعًا كله كان.

ليفي : صدقت... كله كان.

العربي : حياة العرب كلها كان يا سيد ليفي.

ليـــــفي : (بغندرة) لا شك أن لفعل «كان» في حياتكم معشر العرب مكانًا بارزًا.

العربي: (معترضًـــا في عنف) بارزًا؟ أتقول بارزًا؟ فعل كان هو العرب، إن حذفته حذفت كل العرب.. جرب... جرب أن تحذفه وسترى.

ليـفي : (بزهو) يا لها من ملحوظة جيدة.

العربي: وأنا ملك الملاحيظ الجيدة (يجاري ليفي في الضـــحك ويشجعه على ذلك).. ها.. ها.. ها.

ليـــفي : لم أصادف عربيًا صادقًا مع نفسه إلى هذه الدرجة، أنت مختلف يا رجل!

العربي: (يتأمل الوصف) مختلف؟ آه نعم مختلف جدًا.

ليـفي : أكمل، أنا أحب المختلفين من العرب.

العربي: وعندما من الله عليكم بالنصر عام سبعة وستين...

ليـــفي : (لنفسه) فعلا مختلف، (ثم للعربي) لكن ما رأيك ألم يكن نصرًا عظيمًا؟

العربي: شاملاً كاملاً.

ليـــــفي : لا لا لا مختلف ودوغري (يقترب أكثر من العربي) فيك من يكتم السر أيها العربي؟

العربي: في بير.

ليـفي : أنا أشعر بالميل نحوك.

العربي: فيك من يكتم السر يا سيد ليفي؟

ليـفي : في بير أيها العربي.

العربي: وأنا أيضاً.

ليـفي : لكن ما يؤرقني هو أنك عربي لكن لا يهم.. لا يهم.

العربي: وما يقض مضجعي هو أنك إسرائيلـي.

ليـفي : (بحماس) شعور مريع.

العربي: فظيع.

ليـفي : ما رأيك لو نريح أنفسنا منه بعض الوقت؟

العربي: كيف؟

ليـفي : نأخذ بريك.

العربي: لا، لا أريد تكلفة.

ليـفي : لا... لا... فلنأخذ بريك.

العربي: لست ضيفًا.

ليـفي : لا نأخذ بريك.

العربي: إذا كنت مصرًا، اجعلها فته بالتوم.

ليـفي : (في دهشة)فته بالتوم؟

العربي: فته بالتوم..

ليـــفي : (ينفجر ضاحكاً) فته بالتوم، أقول لك بريك تقول لـي فته بالتوم!؟

العربي: على ما تضحك يا رجل؟

ليـفي : (الذي لا يستطيع أن يتوقف عن الضحك) بريك، بريك يا رجل.

العربي: عجيب أمر هؤلاء الإســـرائيليين، أقول له فته بالتوم يضحك عجباً وأي عجب!

ليـفي : المهم أكمل أيها العربي خفيف الظل.

العربي: بعد الحرب أصبحت غزه أيضا تحت حكمكم الموقر.

ليـــــفي : (باهتمام شديد) هل ثمة تقصير من جانبنا في حكمنا لكم أيها العربي؟

العربي: حاشا لله.

ليـفي : الدنيا دول هذا يحكم اليوم والآخر غدًا و...

العربي: طبعًا، طبعًا.

ليـفي : وفي النهاية لا تبقى إلا السيرة الطيبة.

العربي: المعروف.

ليـــــفي : لكني مازلت لا أعرف ســبب زيارتك أيها العربي خفيف الظل.

العربي: انظر سـيدي؛ عندما أصــبحت غزة تحت حكمكم هي والضـــفة الغربية أصـــبح من الممكن أن تذهب من غزة إلى الضــفة الغربية مباشــرة مروراً بإســرائيل وهذا ما أغراني بزيارة القدس.

ليـفي : لا ألومك هي مدينة تستحق الزيارة... شم

العربي: (وهو يشم) تاريخ.

ليـفي : (أحقاب).

العربي: اضحك يا سيد ليفي.

ليـفي : أنا؟... لما؟ أيها العربي (وهو يضحك)؟

العربي: لقد فوجئت بأنها المدينة التي ولدت فيها.

ليـــــفي : (من خلال ضحكه) بدا لك ذلك؟.. (ثم بجدية) أليس كذلك؟

العربي: أو شبه لي.

ليـفي : ولكن أمعقول هذا؟

العربي: والله العظيم هذا ما حدث.

ليـفي : لا... لا أصدق.

العربي: حلفت لك.

ليـفي : ولكن كيف يحدث هذا في غفلة منك؟

العربي: هذه هي الفولة.

ليـفي : الفولة... فولة ماذا؟

العربي: أقصد اللغز.

ليـفي : لغز ماذا يا رجل؟ لابد أنك كنت مخمورًا.

العربي : (منزعجاً) مخمورًا؟ لا أسمح لك.

ليـفي : ما الذي أزعجك هكذا؟

العربي: نحن العرب لا نشـــرب الخمر.... إنها حرام... حرام (عندما يقول نحن العرب تجده يعطيها قدرًا كبيرًا من التفخيم)

ليـفي : إذا فسر لي سبب الحالة التي كنت عليها؟

العربي: هذه هي الفولة.

ليـفي : فولة ماذا يا رجل؟ أقلقتني.

العربي: هذا ما نتميز به عليكم يا سيد ليفي.

ليـفي : تتميزون علينا؟... أنتم!؟ (يضرب كفًا بكف)

العربي: نعم.

ليـفي : بماذا؟

العربي: بالحذق.

ليــــــفي : أي حـذق؟ يـا رجـل أقلقتني، هـل هو نوع من التكنولوجيا؟ هل هو حزقتزم مثلاً؟

العربي: لا حزقتزم ولا يحذقون نحن لا ندفع مليمًا ثمنًا للخمر.

ليـفي : وهذا طبيعي ما دمتم لا تشربونـها.

العربي: ومع ذلك فنحن نحصل منها على نفس ما تحصل عليه أنت منها دون دفع شيكل واحد.

ليـفي : وضح أكثر، أهي نظرية اقتصادية جديدة؟

العربي: نحن في حالة سكر دائم يا رجل وبدون مقابل

ليـفي : (ينفجر ضاحكاً) تسكرون بلوشي تقصد.

العربي : وأنتم تبددون أموالكم في الخمر ولا تسكرون تعيشون حـالـة يقظـة دائمـة أين حـذقكم يـا رجـل... انظر إلى الفرق الشـاسـع بين حذقنا وحذقكم إن ما تفعلونه سفه يا سيد ليفي...!

ليـفي : (الذي تنتابه نوبة شديدة من الضحك) نشرب ولا نغيب عن الوعي وهم لا يشـــربون وغائبون عن الوعي يا لها من ملحوظة.

العربي : وأنا ملك الملاحيظ.

ليـفي : يخرب بيتك... أنت فلتة أيها العربي.

العربي: ينيلك... وأنت كارثة أيها الإسرائيلي.

(تستبد بهما حالة من هستريا الضحك)

ليــــفي : (من خلال ضحكه) أقول لك سراً يا ... قلت لي ما اسمك؟

العربي: سليم.

ليـفي : أقول لك سرًا يا سليم؟

العربي: سرك في بير يا ليفي.

ليـفي : أنا أحببتك.

العربي: أقول لك سراً يا ليفي؟

ليـفي : قل يا سليم.

العربي: وأنا أيضًا.

ليـفي : المشكلة التي تورقني...............

العربي: والمعضلة التي تدمي فؤادي............

(لا يكمل أي منهم عبارته يضحكان معًا)

مــــــــعًا : ما رأيك أن ننسى هذا لبعض الوقت؟(لا يكملان ويعاودان الضحك)

ليـفي : لا مانع فلنأخذ بريك.

العربي: لتكن بيتزا هت.

ليــفي : (ينفجر ضاحكًا) بيتزا هت... أقول لك بريك تقل بيتزا هت؟

العربي: ولماذا يضـــحك من هذه أيضـــا؟ يا رجل قلت لك فتة بالتوم.

ضـــحكت قلت ربما لأني قلتها إن أربك فقلت أقولها إن إنجلش ماذا يضحك في هذا أيضا؟

ليـــــفي : (مستغرقاً في الضحك) أقول لك بريك تقول لي (لا يستطيع أن يكمل بسبب هستريا الضحك)

العربي: أما غريب أمر هؤلاء الإسرائيليين... على ما تضحك يا رجل إذاً؟

ليــفي : أقول لك بريك.. (لا يستطيع أن يكمل بسبب استغراقه في الضحك)

العربي: غريب أمر هؤلاء الناس! يا رجل كفى ضـــحكًا بلاش قلة قيمة نحن العرب لا نضـــحك إلا إذا كان هناك سبب للضحك.

ليـــفي : أقول لك نأخذ بريك تقول لي لتكن بيتزا هت (ويدخل في نوبة ضحك جديدة وبعد أن يسيطر عليها) تخيل أن هذه أول مرة أقابل فيها عربياً وجهاً لوجه.

العربي: (مكملاً) وبدون سلاح.

ليـــفي : (منزعجًا) ماذا قلت؟ (لنفسه) كيف فاتني ذلك؟ يا لها من ملحوظة.

العربي: ألم أقل لك إني ملك الملاحيظ الجيدة.

ليـــفي : أكمل أيها العربي وبعد أن تخيلت أن هذه هي المدينة التي ولدت فيها؟

العربي: وأنا أسير مستمتعاً في هذا الشارع أنا وأحمد ابني..

ليـــــفي : (يتذكر) أحمد من؟ آه... أحمد ابنك.... آه (يتجه نحو السلم) لقد صعد مع راشيل إلى أعلى لقد مر عليهما وقت طويل يجب أن ينضما إلينا.

العربي : (يسحبه برفق بعيدًا عن السلم) لا تشغل بالك يا سيد ليفي.

ليـــــفي : (الذي يفلت منه ويتجه ثانية إلى السلم) لا يجب أن يبقيا معًا فترة طويلة.

العربي: نحن العرب لا نعرف الهلس.

ليفي : آه متدينون تقصد؟

العربي: غير الأمريكان تمامًا.

ليفي : أكمل إذًا، كنت تسير مع أحمد ابنك (يعاوده القلق ثانية ويتجه نحو السـلم؛ العربي يسـحبه ثانية) ألا تعتقد أنهما بقيا معًا أكثر مما ينبغي؟

العربي: قلت لا تخش شيئًا يا رجل، نحن العرب نخشى الله.

ليفي : نعم، نعم ثم ما الذي حدث بعد ذلك أيها العربي؟

العربي: شيء عجيب... عجيب.

ليفي : ماذا؟... قل.

العربي: عيني....

ليفي : عينك؟

العربي: نعم عيني.

ليفي : أصابها مكروه؟

العربي: تسمرت.

ليـفي : ماذا تعني ؟

العربي: وقفت على باب هذا البيت.

ليـفي : بيتي؟

العربي: أم كنت لا أقف؟

ليـفي : تقف.

العربي: وطرقت بابه أم كنت لا أطرق؟

ليـفي : تطرق.

العربي: وعندما فتح الباب نظرت إلى الداخل أم كنت لا أنظر؟

ليـفي : تنظر.

العربي: تخيل ماذا وجدت؟

ليـفي : أضحك؟ أضحك أيها العربي؟

العربي: ســـخَّن وعلى مهـل لأن القـادم مهول (ليفي ينفجر ضاحكًا)

ليـــــفي : (من خلال ضحكه) ماذا وجدت؟ إياك أن تقول إنك تخيلت أنه البيت الذي ولدت فيه.

العربي: عين ما حدث وأيم الحق.

(يضحكان معا بينما ليفي يخبط كفًا بكف)

ليـفي : لا يمكن.... لا يمكن.... كفى.

العربي: (من خلال ضـــحكه) أنت تقول كفى، أنت لم تســـمع شيئًا بعد.

ليـفي : كل هذا ولم أسمع شيئًا بعد!؟

العربي: لقد ضربني أبي علقة ساخنة هنا في هذا المكان.

ليفي : هنا في بيتي... يا لخيالك الخصب.

العربي: وجريت محتميًا في هذا الكرسي.

ليفي : هذا الكرسي... يا لخيالك المتوهج.

العربي: وعندما لحق بي أخذت أصرخ.

ليفي : تصرخ في بيتي؟.... يا لخيالك الجامح.

العربي: وسارعت أمي لنجدتي.

ليفي : وأمك أيضًا في بيتي؛ هذا فيلم سينمائي.

العربي: وصرخت فيه فتركني فجريت صاعدًا هذا السلم.

ليفي : (من خلال ضحكه) كما حدث في فيلم كلهم أبنائي غير معقول... هذا الرجل غير معقول أبدًا.. أمه وأبوه وعلقة ساخنة هذا فيديو كليب. أين شاكيرا يا رجل؟

العربي: (تتغير لهجته ويصبح صوته كالسيف) أنت غيرت هذا الدرابزين.

ليفي : (من خلال ضحكه) تهالك يا سليم ولم يكن أمامي غير ذلك.

العربي: (بصوت يشبه الفحيح) ليس من حقك.

ليفي : ماذا؟

العربي: (صارخًا) سمعتني.

ليفي : كيف تتحدث معي بهذه الطريقة؟

العربي: من أذن لك بتغييره ؟.تكلم.

ليـفي : أنت مجنون.

العربي: إنه بيتي وبيت أجدادي.

ليـفي : لا يمكن أن تكون إنسانًا عاقلاً أبدًا وأنا أيضًا لابد أنني مجنون، لا يمكن أن يتقابل عربي وإســـرائيلي بدون سلاح إلا إذا كانا مجنونين..... في بيتي مجنون.

(راشيل وأحمد يهبطان السلم في مرح واضح)

راشـيل : (متهللة) اضـحك يا أبي لقد حدث اليوم من المفاجآت ما لا يمكن تصديقه.

أحمـد : (لأبيه) فوق ما يتخيل أي عقل.

راشيل : (تعد على أصابع يدها) واحد... أحمد أمريكي مثلي.

أحمـــــــد : (يعد على أصابع يده) اثنان... وتربيت في أمريكا بعيدًا عن أبي مثلها.

راشيل : ثلاثة... ومثله أرى والدي لأول مرة.

أحمـــــــد : أربعة.... ومثلها تلقيت مئات الخطابات من أبي يرجوني لكي أحضر لزيارته.

راشيل : خامسًا.... اسمعا هذه القنبلة.

أحمـد : آه صح، اسمعا هذه القنبلة.

راشيل : أحمد هنا يا سي داد لأن هذا بيتهم أيضًا.

ليـفي : هراء.. جنون.

أحمـــــــد : سادسًا... وهو الشيء الخارق للعادة أن المقادير ســـاقتني لهذا البلد، هل تعرفون لماذا؟ لألتقي بفتاة أحلامي.

راشـــيل : الآن صــــدقتك يا ليفي جدعون، هي فعلا أرض الحكايات و هذه حكاية جديدة يمكنك إضــــافتها إلى ألبوم حكاياتها.

أحمـد : هي أرض الراندفو... راندفو لاند.... راشيل.

راشيل : راندفو لاند أحمد.

(تتشــابك أيديهما ويرقصـــان معا بمرح زائد على نغم أغنية ليالي الأنس في فيينا)

ليـفي : (صارخًا) بس، كفى.

(أحمد وراشــيل يتوقفان عن الرقص وينظران إليه في ذهول)

راشيل : ما بك داد؟

أحمـد : ما خطبه يا والدي؟

ليـفي : لصوص.

راشيل : لا تقل ذلك داد.

ليـفي : مجانين.

راشيل : كفى، أحمد ضيفي.

العربي: نحن لم ننزل ضـــيوفًا على أحد. هذا بيتنا وحضـــرنا لاستلامه.

أحمـد : (للعربي) لم تصرح لي بشيء كهذا من قبل!

العربي: إنه بيتنا بحكم القانون.

ليـفي : كاذب.

أحمـد : لا يصح أن تقول ذلك يا سيدي.

راشيل : (لأبيها) معهما عقد.

ليـــفي : نصابين.. عصابة.. اخرجي إلى الشارع واسألي الدنيا كلها لتعرفي بيت من؟

أحمـد : الملكية تثبت بعقود يا سيدي وليس بشهادة الشهود.

العربي: ونحن معنا العقود.

ليـفي : طز في عقودك.

العربي: أسـمعتم؟ يقول لي طظ.. اسـمع.. نحن العرب لا يقول لنا أحد طز.

راشيل: معذرة يا عمي.

ليـفي : عمك ؟ أجننت؟

العربي: ولعلمك توجد نســخة من هذا العقد في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ليـفي : (يصدر صوتًا بفمه بمعنى طز)

العربي: نحن العرب لا أحد يقول لنا (ويصـدر نفس الصـوت) دون أن يناله عقاب، قسمًا عظمًا لأضربك.

ليـفي : أنت تضربني يا حشرة!؟

(يهجمـان على بعضــهمـا البعض، أحمد وراشــيل يحولان بينهما)

راشيل : (لأبيها) موقفك سيكون سيئًا لو أبلغا الشرطة.

العربي : وهذا ما سنفعله فورًا.

الشاب: (لأبيه) فلنحاول حلها وديًا.

العربي: لا.

راشيل : انتظر يا سيدي، سنسوي المسألة فيما بيننا.

ليـــــفي : ســيدك أيضًـــا؟ اخرج بره اخرجوا بره حالاً أيها المجانين.

راشــيل : (لأبيها) هيا نهرب إلى أمريكا قبل أن تحضـــر الشرطة وتقبض عليك.

ليـفي : اللعنة على أمريكا يا راشيل، أخرجوا حالاً.

العربي : (لابنه) أرأيت؟ كان علينا أن نبلغ الشـرطة من لحظة وصولنا.

راشيل : يجب أن تضغط على والدك ليهدأ قليلاً.

أحمـد : اهدأ أرجوك.

العربي: (ثائرًا) كيف أهدأ وبيتي مغتصب، هه؟ سأبلغ الشرطة فورًا لابد من القبض على لصوص المنازل هؤلاء.

ليـفي : أنت أيها المجنون الذي ستبلغ الشرطة؟

العربي: أســـمعتم؟ يقول عني مجنون.. أنـــا مجنون؟ نحن العرب........

ليـفي : سوف ترى الآن.

(ليفي يدير قرص التليفون)

راشيل : (لأبيها معترضة) تريد أن تؤذي نفسك بنفسك؟

ليـــفي : سترين أيتها الساذجة إذا كنت أؤذى نفسي بنفسي أم لا؟

أحمـد : كيف تصل الأمور لهذا الحد بهذه السرعة؟

راشيل : لا أدري ما الذي يحدث للناس في هذه المدينة.

(العربي يتجول في الردهة متفقدًا كل شـــيء، يخبط على الحوائط ويتسـمعها يعلق معترضًـا على سـوء أحوالها مثل قوله مطبلة ينتهي به المطاف عند السلم ويفحص الدرابزين جيدًا وينقر عليه بمفتاح في يده ثم يوجه الحديث إلى ليفي).

العربي: خشب رديء.

ليفي : ماهوجني وتقول رديء؟

العربي: أنا ماهجوني؟ أنت ستين ماهوجني... نحن العرب لا يقول لنا أحد ماهوجني دون أن يعاقب.

ليفي : جاهل.

العربي: أنا جاهل يا متخلف؟

ليفي : أنا متخلف والله لأضربك.

العربي: أنت تضربني تعال لترى ما سأفعله بك.

(يهجمان على بعضـــهما البعض بينما أحمد وراشـــيل يمنعانهما)

ليفي : ماذا تستطيع أنت يا متآكل أن تفعل بي.

العربي: سترى ما يستطيع هذا المتآكل أن يفعله بك طالما أنه لا يوجد مندوب عن الحكومة الأمريكية هنا.

ليفي : تريد أن تقول أن أمريكا هي التي تحميني؟

العربي: هي تحميك فقط (كما لو كان يفرش له الملاية) إنها تطعمك وتسـقيك وتعمل لك بي.. بي ... ودول العالم كلها تجاملك من أجلها... جعلت منك فتى الغرب المدلل.

ليــفي : انتظر وسوف ترى أيها المتهور ما الذي ستفعله بك الشرطة حين تحضر.

راشيل : (لأبيها) أنا لا أفهمك أبدًا، أتقيم الدنيا وتقعدها من أجل بيت كهذا!؟

العربي: تقيم الدنيا وتقعدها من أجل بيت كهذا!؟

ليـفي : أنت تصمتين تمامًا.

العربي: اذهب إلى أمريكا، إلى كندا، إلى أستراليا.

ليـــفي : لا عودة للشتات أبدًا جاء الدور عليك وعلى العالم لتذوقا طعم الشتات المر.

العربي: لديكم هوس ببناء المستوطنات اذهبوا إلى هناك حيث ملايين الهكتارات التي لا يسكنها أحد، يمكنك ممارسة هوايتك المفضلة هناك بلا حروب ودماء يا أهطل.

ليـفي : أنا أهطل؟ نحن الإسرائيليين لا يقول لنا أحد يا أهطل دون أن نعاقبه.. والله لأضربك.

العربي: تعال أرني نفسك.

(يتأهبان للعراك كل في مكانه)

ليـفي : أريك نفسي؟ أنا جاهز.

العربي: سترى أنى أنتظر هذه الفرصة من زمن.

ليـــفي : انظر هذه هي المنطقة ألف وهذه هي المنطقة باء وهذه هي المنطقة ج، لو قربت من المنطقة ج سأقطع رقبتك.

العربي: أنا الذي سيشرب من دمك.

ليـفي : قرب فقط، قرب.

العربي: سأصنع منك بسطرمة.

ليـفي : وأنا سأصنع منك مسترده.

(ينجحـان في الإفلات من أحمد وراشـــيل ويتقـاتلان تسمع صفارة البوليس ويدخل ضابط مدجج بالسلاح ومعه بعض الجنود)

الضابط: كفى وإلا سأضرب في المليان.

(يستجيبان، يستعرضهما)

عربي؟ عظيم... ومن تكون الحسناء؟

راشيل : راشيل.

الضابط : (يدور حولها متفقدًا) راشيل؟

راشيل : ليفي جدعون.

الضـــابط: بنت الســيد ليفي إذًا؟ عظيم... عظيم.. أختي أيضـــا اســمها راشـيل وأمي اســمها راشـيل وراشـيل بنت عمتي راشيل اسمها راشيل .

(راشيل تنتحي بالضابط جانبًا وبصوت هامس)

راشـيل : أبي يا حضـرة الضـابط يسـكن هذا البيت وليس معه مستندات ملكية.

الضابط: (متهكمًا) عقد وأشياء من هذا القبيل؟

راشـــيل : والأكثر من ذلك يريد وهو لا يملكه أن يتنازل عنه لي.

الضابط: أحقا؟ يا للهول.

راشيل: هدفه واضح يريد أن يرحل لي المشكلة.

الضابط: (يصفق لها) برافو

راشيل : ولذلك أنا أريد أن ننهي الموضوع وديًا.

الضابط: وحبيًا، لكن ألم يقل لك أحد أنك جميلة وجميلة جدًا؟

راشيل : ومن ناحيتي سآخذ داد وأطير إلى الولايات المتحدة فورًا.

الضابط: خسارة كبيرة.

راشيل : لا أريد أن أسبب لك حرجًا مع رؤسائك ومن ناحية أخرى حتى لا يكرر ذلك مستقبلا مع أحد. (هامسة بشكل أكثر بعد أن تتلفت حولها) كلام في سرك، مجنون، بيوت متهالكة.

الضابط: يحتاج علاج.

راشيل : (بأسى) بالتأكيد.

الضابط: تحبي أبلغ مستشفى الأمراض العقلية؟

راشيل : لا في أمريكا كثيرون مثله والكل يتلقى علاجًا جيدًا، دعني أتول ذلك.

الضابط : لديك حق الأمريكان معظمهم ... فاهمة؟

راشيل : طبعًا، طبعًا هذه هي الخدمة التي أريد ان تؤديها لي ولن أنسى لك هذا الصنيع أبدًا.

الضابط: من ناحيتي لا مانع... لا مانع لدي أبدا يا راشيل... يا سلام، وهذا الرجل الذي يدعي ملكيته من الواضح أنه عربي.

راشيل : نعم.

الضابط: ومن هذا بحق الشيطان؟

راشيل : أحمد ابنه.... أمريكي.... مثلي.

الضابط: آه أهلاً أحمد... شيء جميل.... جميل جدًا في الواقع (للعربي) وبالطبع أنت هنا؟

العربي : لأتسلم بيتي.

الضابط: (ينفجر ضاحكًا) بيتك.. تتسلم بيتك.. ها.. ها.. ها.

أحمـد : أعتقد أن أبي لم يقل نكتة.

الضابط: لا إطلاقًا.

العربي : إذًا سلمنا البيت.

الضابط: الآن؟

العربي : فورًا.

الضابط: (ينفجر في الضحك) غير معقول أمر هؤلاء الناس. قل شيئًا يا سيد ليفي.

ليفي : (ينفجر ضاحكًا هو الآخر) ماذا أقول؟

أحمـد : أنا لا أفهم شيئًا.

راشيل : ولا أنا. ما هي الحكاية يا حضرة الضابط؟ هل أنتم هنا لا تسلمون البيوت بسهولة؟ قل.... كل بلد ولها سلوكياتها.

الضابط: (من خلال ضحكه) لا... نسلمها بسهولة.. بسهولة جدًا، لكن المشكلة هي أنها حالة خاصة نوعًا.

العربي: من أي ناحية؟ تكلم.

أحمـد : آه تكلم.

راشيل : اشرح لنا.

العربي: (يقلد فهد بلان) واشرح لها.

الضـابط: (ينتحي براشـيل جانبًا ويهمس) الحكومة هنا معقدة نوعًا وقد ترى أنني بتصرفي المنفرد هذا أهدف إلى تفكيك إسرائيل، صحيح ممكن النظر لتصرفي على أنه نوع من الهندسة العكسية وهو شيء مشروع ومتعارف عليه ولكن المشكلة في أنى لا أمتلك هذه الصلاحية على الأقل في الوقت الحالي، اسأليهم إن كان بمقدورهم الانتظار بعض الوقت حتى تتوفر لي هذه الصلاحية.

راشيل : أنت إنسان متفتح جدًا يا حضرة الضابط.

الضابط: أشكرك راشيل.

راشيل : ومتعاون.

الضابط: أشكرك جدًا.

راشيل : وسأكلم أمي عنك.

الضابط: أشكرك جدًا جدا جدا.

راشيل : لماذا يبقى إنسان مثلك في مثل هذه المدينة المعقدة؟ تعال إلى أمريكا.

الضابط: هقول لأمي، حاضر.

راشـيل : (لأحمد هامسة في تهلل) إنه يسأل لو أمكنكم الانتظار بعض الوقت حتى تتوفر له صلاحية تسليم المنازل.

العربي : ولا دقيقة.

أحمـــد : انتظر يا أبى، اسأليه عن المدة المطلوبة.

راشيل : (للضابط بتهلل) وافقوا، لكن يلزمهم معرفة المدة.

الضابط: (يتوجه بالحديث للعربي ولولده) اطمئنوا لن أعطلكم دقيقة واحدة، أصبح رئيسًا لإسرائيل من هنا؛ أسلمكم البيت من هنا.

أحمـــد : أنت تسخر منا يا حضرة الضابط.

راشـــيل : (غاضـــبة) الشـــرطة في أمريكا لا تفعل ذلك مع المواطنين أبدًا.

أحمـــد : من يفعل ذلك عندنا يحاكم فورًا.

راشيل : تعطيهم العقد يعطوك البيت.

الضابط: هكذا؟ تعطيهم العقد يعطوك البيت.

العربي : إذًا الموضوع منتهٍ؛ نعطيه العقد يعطنا البيت.

الضــابط: تعطيه العقد يعطِك البيت (يصـمت وكأنه يبحث عن حل)

(يدخل زكي ينظر حوله في دهشـــة، ظهوره لا يعني أنه جزء من المشهد)

الضابط: أو كيه أعطني العقد.

العربي: هذا هو العقد.

الضــابط: (وهو لا زال عاجزًا عن التوقف عن الضـحك) هذا هو العقد؟

العربي: نعم، نعم، هذا هو العقد.

الضابط: والآن تريد البيت حسب ما هو ماشي في أمريكا؟

راشيل : نعم تعطيه العقد يعطك البيت.

أحمـد : بالضبط هذا ما يحدث في أمريكا.. تعطيه العقد يعطك البيت.

العربي: وأنا أعطيتك العقد فأعطني البيت.

الضابط: وأنا أخذت العقد فأعطك البيت؟

العربي: نعم تعطيني البيت.

الضابط: OK هذا هو البيت.

العربي: (في ثورة عارمة) نحن العرب لا تمزق عقودنا.

زكـــــي : ظابط وعساكر وعربة مصفحة واقفة بره وحصار للبيت وقناصة على السطوح المقابلة ليه دا أنا مغبتش أكتر من نص ســاعة، هي القدس كده مادة قابلة دائمًا للاشــتعال ها ها ها وتعطيه العقد يعطك البيت ها ها ها الكلام ده لو في مدينة تانية لكن مش في مدينة بعراقة القدس ويمشي مع أي شعب من شعوب العالم لكن مش مع شـــعب الله المختار (يلحنها ويغنيها) تعطيه العقد يعطك البيت تعطيه البيت يعطك العقد (يرقص).

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(لافتة كبيرة كتب عليها مطار بن جوريون الدولي، الشـــاب يحمل حقيبة ســـفر ويســـير في اتجاه المدخل.. العربي يلاحقه يلاحظ رأسه مربوط بالشاش وذراعه في الجبس)

العربي: (في استعطاف) أحمد.. ولدي... أرجوك لا تسافر.

الشاب: آسف.

العربي: أنت كل ما لي في الدنيا.

الشاب: تعال معي وسأوفر لك كل ما تحتاجه من رعاية.

العربي: (يصاب بصدمة عنيفة غير أنه يضبط أعصابه).. هذه أرضي ولن أغادرها أبدًا.

الشاب: إذًا دعني وشأني.

العربي: (بنفس الغيظ المكتوم) شأنك هنا ولن أسمح بأن يكون لك شأن في أي مكان آخر غير هنا.

الشاب: هل يعني هذا أنك حددت إقامتي؟

العربي: يا ابني أنت لا تعرف ما الذي تفعله بي.

الشاب: وماذا عما فعلته بي أنت؟

العربي: أن فرحت بك؟

الشاب: للأسف كان جزءًا من خطتك.

العربي: تقول خطتي؟

الشـــاب: اســـتدرجتني لتدخلني بيت ليفي وتطالبه بتســـليمه لك وأنت تعرف أن الشرطة يستحيل أن تنصفك.

العربي: (بعصـــبية) تقول بيت ليفي وتنســـى أنه بيتك وبيت أجدادك وتأخذ علي أني أتيت بك لتراه رأي العين؟

الشاب: خطة بارعة.

العربي: لم يكن أمامي غيرها.

ألشـاب: منظر الدم وهو يندفع من جبهتك سيظل نافورة عذاب أشـــقى بها ما حييت أما عن بكائك المرير فيجب الاعتراف أنك وقتها خرجت عن النص وعشـــت مأسـاتك الحقيقية وكأنهم قد اغتصـبوا بيتك على التو واللحظة وليس من عشرين سنة، كان مشهداً رهيباً... كنت أشـــبه ما يكون برجل مذبوح حمل رأســـه بين يديه وأخذ يدور بها على رجال أنذال هم أصـــلا من ذبحوه.

العربي: لم أقصد تعذيبك.

أحمـــد : وتهجمك على الضابط بقصد دفعه للاعتداء عليك لم تقصده أيضًا؟

العربي: أردت للعربي الذي بداخلك أن يعود للحياة.

الشاب : ومن قال إنه مات؟

العربي: موقفك المتخاذل.

الشاب: ورسالتي كطبيب وقسمي على تخفيف آلام الإنسان لا زيـادتها تضـــميد جراحـه لا إدمائها ألم يدخل في حسبانك؟

العربي: ستار زائف تخفي وراءه جبنك.

الشاب: لا تحاول ابتزازي.

العربي: أنا لا أبتزك ولكنها الحقيقة البشعة التي كشفت لي عن وجهها الآن.. لقد انتظرت هذه اللحظة سنوات وسنوات على أمل أن تعود وعندما عدت لم أجد أمامي البطل الذي انتظرته وإنما وجدت نذلا رعديدا.

الشاب : كفى.. كفي.. كفى.

العربي: اسمعني جيدًا، هذا البيت أمانة في عنقي، ولم أتوقف يومًا واحدا عن الكفاح في سبيل استرداده، والآن أصبحت عجوزًا ورجلي والقبر ولابد أن اخلف ورائي من يواصل الكفاح فهو صراع أجيال، وها أنا ذا أنبهك إلى أن حياتك ستكون ثمنًا لمغادرتك القدس.

الشاب : ماذا؟

العربي: هو ما سمعت اذهب من أمامي الآن.. اذهب.

(الشاب يدخل إلى صالة السفر مسرعاً وخلفه الأب وهو يمشي ببطء وانكسار ثم تظهر راشيل وهي تحمل حقيبة السفر وخلفها ليفي، زكي وهو يرقبهما من مكان خارج المشهد)

زكـي : لا دي هتحلو قوي قوي قوي، هلوا هلوا.

ليفي : راشيل.. حبيبتي... هنا أرض الميعاد.

زكـي : قول يا رايق قول.

ليفي : هنا حارة اليهود الكبرى التي ستضم كل يهود العالم.. شيلوك لم يكن شريرًا بطبعه هم أحاطوه بسياج من الاحتقار والكراهية فكان من المستحيل أن يكون غير ما كان.

زكـــي : نغم والله يا ليفي.

ليـفي : ولكن الآن شيلوك مات.

راشيل : (ساخرة) مات؟

ليـــــفي : نعم، ودعينا جيلا بعد جيل نسند ظهورنا إلى حائط المبكى ونموت في هدوء... ما قولك راشيل حبيبتي؟

راشيل : (لا ترد)

ليـفي : أجيبيني قرة عيني.

راشيل : أنت شيلوك.

ليـفي : (منزعجًا) ماذا؟

راشيل : بل أسوأ.

ليـفي : أسوأ؟

راشيل : شيلوك كان معه عقد.

ليـفي : ابنتي وتقولين ذلك!؟

راشيل : الحقيقة.

ليـفي : حقيقة الظالمين؟

راشيل : بل حقيقة الذين أتيحت لهم فرصة الحياة خارج حارة اليهود وحكموا على سلوكها بتجرد أكثر.

ليـــــفي : (بصـوت كالفحيح) حقيقة كل الذين يعيشـون خارج حارة اليهود ويدبرون المؤامرات لحرقها بمن فيها.

راشيل : تمثيلية رخيصة.

ليـفي : لا يكفيني ذبحك على تفوهك بعبارة كتلك، ألم تخبرك الملعونـة أنكي لو كنتي وقعتي في يدي الجسـتابو ليلتها كان مصيرك سيكون الحرق .

راشيل : لا فائدة.

ليـفي : لقد ندمت بالغ الندم لأني أنقذت أمك من أفرانهم والآن أندم لأني أنقذتك أنت نفسك.

راشـيل : أنت لا تعرف سـوى الكراهية.... لا تعرف سـوى انتظار الفرصة لتنتقم، لماذا لا تجرب العفو؟ لماذا لا تجرب ولو لمرة واحدة.. مرة واحدة تضـبط فيها متلبسًا بجريمة التسامح. (تنخرط في البكاء)

ليـفي : (يستعطفها) راشيل.. حبيبتي.

راشيل : (من خلال بكائها) دعني وشأني

ليـفي : لا تتركي طيبة قلبك تضللك.

راشيل : دعني أرحل من هنا.

ليـفي : لن تعودي للملعونة ثانية.

راشـيل : أمي ليسـت ملعونة.... الملعون هو من لا يبتسـم للحياة.. الملعون هو من لا يدع الضـوء ينفذ إلى أعماقه، الملعون هو من يعيش شـاكًا سـلاحه كالعقرب.

ليـفي : ساذجة.

راشيل : سذاجتي لا تتعارض مع مهنتي كمعلمة موسيقى.

ليـفي : وهنا أيضا يمكنك أن تعلمي الموسيقى.

راشيل : وبيتك المغتصب، أليس على أن أدافع عنه؟

ليـفي : بيتك وبيت جدودك.

راشيل : أي لحن دموي تريدني أن أعزفه؟

ليـفي : أي لحن تختارين... ولكن لا تغادري هذا البلد.

راشيل : بل سأغادره ومن فوري.

ليـفي : لن أسمح بأن تضيع حياتي وكفاحي سدى أبدًا.

راشيل : إنها ضاعت ولم يبق منها إلا الكراهية.

ليـــفي : (صـارخًا) لا.. طالما أن هذا البيت هنا سـأظل أدافع عنه ما حييت وإذا مت كان دورك.

راشيل : لن أفعل.

ليـفي : حياتك ستكون الثمن (يبكي وهو يكرر ذلك) افهمي.

زكـــــي : فئران محبوسة في مصيدة الكراهية الجميع فئران محبوسون في مصيدة الكراهية.

(راشـيل تدخل إلى صـالة المطار يتقدم زكي من قاع المسـرح إلى مقدمته)

زكـــي : (للجمهور) مساء الخير أيها الأعزاء، زي ما شفتم الواد والبنــت قرروا مغــادرة القـدس. العجوزين منتظرين يشـوفوا نتيجة تهديدهم؛ هل هيسـافروا والا هيلغوا سفرهم؟ وطبعًا كل واحد منهم جاهز بسلاحه.

والسؤال مين هيتكتب له النصر في النهاية الحب والا الكراهية؟

الحياة والا الموت؟ متخافوش أعدكم أنكم ســـترونهم يتألمون على النحو الذي يسعدكم.

نبدأ العرض تترارا تته.

واحد من الجمهور : سافل.

زكي : شكرًا

آخر : لعبة مكشوفة.

آخر : يدعي أنه يهودي مصري.

آخر : انت يهودي يهودي.

آخر : اليهودي عمره ما يكون غير يهودي.

آخر : من أول ما نطقت وانا فهمتك انت هدفك التطبيع.

آخر : دا بعدك.

غيره : مش احنا اللي ينضحك علينا.

غيره : دا مالوش دعوة.

غيره : مجرد ممثل.

غيره : يجيبوا المخرج.

غيره : ولا المخرج.

غيره : المسئول هو المؤلف.

غيره : هاتوه.

(يظهر مدير المسرح)

مدير المسرح : من فضلكم.

الجمهـــور: عاوزين المؤلف.

غيــــــره : لو راجل يورينا نفسه.

مدير المســرح : يا جماعة ما نقدرش نحكم من غير ما نســمع النص كله يعني لازم تشاهدوا العرض بالكامل.

غيـــــــره : مهما تعمل.

غيـــــــره : أيوه عاوزين المؤلف.

غيـــــــره : مش من حق حد يصادر على المجموع.

غيـــــــره : دفعنا فلوس لنشاهد عرض.

غيـ-------ره : بالضبط أعطيناهم نقودًا يعطونا عرضًا ها ها ها.

غيـــــــره : صح نختبرهم همه زينا والا زيهم؟

غيـ-------ره : صح أعطوا الضابط عقدًا أعطاهم بمبه ها ها ها.

مدير المسرح : من فضلكم نكمل والا بلاش؟

غيـــــــره : والله مسرحية حلوة.

غيـــــــره : أيوه هنضحك ضحك.

غيـــــــره : وهنهرج تهريج.

مدير المسرح : نكمل والا منكملش؟

الجمهـــور: كمل.

غيـــــــره : بدم هتفتح باب المناقشة، معاك للصبح.

زكـــــــى : ابدأ يا مخرج تترارارتته.

(ستار)

المشهد الثاني

(كافيتريا بصالة المسافرين بمطار بن جوريون... أحمد جالس على إحدى الموائد واضعًا رأسه بين يديه ومستغرقاً في تفكير عميق... لا يرى راشـــيل التي تدخل إلى الكافيتريا وتفاجأ بوجوده)

راشيل : (متهللة) أحمد!

أحمـد : راشيل!

راشيل : مسافر؟

أحمـد : مسافرة؟ هاها ..

راشيل : شيء رهيب.

أحمـد : هددني بالقتل إن سافرت.

راشيل : نفس ما حدث معي....

أحمـد : أتعتقد أنه من الممكن أن نغادر القدس ورؤوسنا فوق أكتافنا؟

راشيل : لا أظن، فهذه مدينة يدها ملطخة بالدماء.

أحمـد : المدينة لا ذنب لها نحن جئناها بمحض إرادتنا.

راشيل : استدرجانا يا أحمد.

أحمـد : وضعوا الحب في الصنارة بدل الطعم.

راشيل : (ضاحكة في مرارة) أرأيت سخرية الضابط عندما قلنا أعطه العقد يعطك البيت؟

أحمـد : (يضحك في مرارة) يجب الاعتراف ببلاهتنا.

راشيل : صغنا قاعدة قانونية دون أن ندري.

أحمـد : كل شيء هنا معكوس.

راشيل : كل طوبة هنا لها حكايتها الخاصة بها.

أحمـد : يبدو أن هنا شفرة العالم.

راشيل : شفرة الإنسانية كلها في حواري هذه المدينة. لم يتسن لي معرفة أمي إلا هنا.

أحمـد : أمك؟

راشـــيل : لم أكن أفهم لماذا تحيط بيتنا بســـور مرتفع؟ لماذا تستأجر شركة حراسة رغم أنه ليس لنا أعداء؟ لماذا كل هذا التحفظ مع الآخرين؟ لماذا كل هذا الهوس بالموسيقى الكلاسيك؟

أحمـد : وفهمت كل هذا؟

راشيل : في اليومين الرهيبين اللذين قضيتهما هنا.

أحمد : لكنك كنت تعرفين الحكاية.

راشيل : حروف متراصة.

أحمـد : تعرفينها على أي حال.

راشيل : بطريقة معرفتي لرقم عشرة مثلا.

أحمـد : لا أفهمك.

راشـيل : انظر، أنا وأنت وكل الناس نعرف رقم عشـرة أليس كذلك؟

أحمـد : بالطبع.

راشيل : لكن إذا قال لك أحد إنه عشرة دولار أصبح لهذا الرقم معنى خاص به.

أحمــد : تمام.

راشــيل : وإذا قال لك آخر لقد كنت على وشــك الموت جوعًا لولا أني قابلت فلانا وأقرضـــني عشـــرة دولارات فأنقذتني من غائلة الجوع وعندما..

أحمــد : حيلك حيلك فهمت... ماذا بعد؟

راشـــيل : معرفتك ومعرفتي ومعرفة العالم لما فعله النازيون باليهود تتســاوى مع معرفتنا برقم عشــرة المجرد، أما ما فعلـه أبي بـالأمس هو أنـه شـــدني من يدي وأدخلني إلي رقم عشـــرة الخاص به، فعل هذا في إطار من هذا الجو التاريخي الغامض .

أحمــد : أدخلك في محنته.

راشيل : بكل آلامها، قال إنها ليست حدوتة أو فيلم سينمائي.

أحمــد : (مكملاً) أو فقرة في كتاب للتاريخ.

راشــيل : إنها أنا وأنت وأمك اســتوعبي هذا جيداً.... كنا نجري في جنح الليل هربًا منهم، وليتنا كنا نعرف ممن نهرب لقد تحول الناس العاديون في نظرنا إلى جســتابو، ليس الناس فقط كل شـــيء الهواء، المطر الجليد... أنت لا تستطيعين تصور حالة الرعب التي كنا عليها أو حالة الضـآلة التي أصـبحنا عليها في نظر أنفسـنا، وعندما قاطعته وقلت أعرف كل هذا صـــاح كالمجنون قائلا اخرســـي لا تقولي أعرف لا تقولوا نعرف لا أحد في العالم يقول نعرف هذا شــعور يخصـــنا نحن فقط لأننا فقط الذين عشـــنا هذا الهول. وانخرط في بكاء مرير، كنت أحسب أن لي قيمة، كنت أحسب أني آدمي، كنت أعيش كسيد وأتصرف كسيد وفجأة اتضح لي أني لست إلا أكثر من حشرة يمكن لأي إنسان ممن يحيطون بي أن يدهسها برجله.

أحمـد : شيء فظيع.. فظيع.

راشيل : على ضوء هذا فهمت لماذا الجدار العالي الذي يحيط بقصـــرنـا في لاس فيجاس... لمـاذا شــــركـة الأمن الشهيرة..

فهمت سبب العزلة، فهمت سبب التوجس المستمر من الآخر، تغيرت صـــورة الآخر في وعيها وفي لا وعيها... أصـبح وحشًـا... لا يهم ما هو عليه الآن قد يكون رقيقا... باسمًا كريمًا أليفا... لكن ماذا عنه غدًا، بعد ساعة، بعد لحظة فهمت؟

أحمـد : (لا يرد، يكتفي بحركة من رأسه تعبيرًا عما يشعر به من أسى)

راشيل : لو رأيت أمي لأدهشك هدوؤها ورهافتها وكأنها ورقة سيجارة، عندما تمشي لا تسمع صوتًا لخطواتها كأنها ماء يســيل على الأرض... كنت أنظر لها وأتســاءل لماذا هي كذلك؟ هنا في القدس عرفت أنها كالقشــرة الأرضية زهور وورود فوق السطح ونار الله الموقدة تحت السطح.

أحمـد : كيف يتحمل الإنسان حياة كهذه!؟

راشيل : هذه هي المعضـلة التي نجحت في حلها وبأي وسـيلة تفتكر؟

أحمـد : (مستفسرًا دون أن ينطق)

راشيل : لن تصدق، بالموسيقى الكلاسيك،عندما تتوقف الوتريات في سيمفونية لبيتهوفن وتنطلق آلات النفخ النحاسية لتزأر في جنون وتصاب الطبول في أعلى المسرح بالهوس... تكون هذه هي لحظات الانتقام.. عندما تتراجع لتفسح الطريق للآلات الخشبية تكون هذه هي لحظات التشفي، وعندما تتراقص الوتريات يكون هذا هو السلام الزائف، وعندما تخضع كل الآلات وتخفت وتتقارب ويشيع الود والتآخي بينها عندئذ تكون هذه هي لحظات الخلاص... هذه هي حكاية اللغز الذي اسمه أمي.

أحمد : يعني كل هذه السنين التي عشتها في أمريكا.

راشيل : لم أكن أعرف تفسيرًا لهذا... والأكثر من ذلك والأغرب أنها لم تسمح أبدًا أن أكون طرفًا في أي مشكلة.

أحمد : أصبحت أنا وأنت الآن طرفين في مشكلة لا مثيل لها في العالم.

راشيل : وعلينا إن بقينا هنا أن نحارب بعضنا بعضًا.

أحمد : غلطتي أني استجبت لتوسلاته وحضرت.

راشيل : لم يكن بمقدورك أن تفعل غير ما فعلت صدقني.

أحمد : عند لقائي به انتابني شعور لم أشعر بمثله في حياتي كلها، عندما ضمني وقبلني عدت طفلا، حديثنا امتد طول الليل، كنت أسمعه وأنا في ذهول، نبرات صوته منحتني مستوى من الطمأنينة لم أعرفه في حياتي (بعد لحظات من جلد الذات).... خذلته.... وخذله العالم معي.

راشيل : هون عليك.

أحمـــــــد : وكأن قائمة الأنذال لم يكن ينقصها لتكتمل إلا أنا فأتيت مســرعًا لأكملها ثم أعود أدراجي، مســـتوى جديد من الجبن لم يصل له أحد من قبلي.

راشيل : اهدأ يا أحمد اهدأ.

أحمـد : كيف؟

أحمـد : قال لي أمك ماتت كمدًا، لم تستطع وهى بنت الأكابر أن تعيش في مخيم للاجئين، وأن تناضـــل من أجل حصة في حمام مشترك أخذت تتضاءل يوماً بعد يوم أمام عيني ولا أستطيع أن أفعل لها شيئاً... في مثل هذه الحالة يا ولدي تصـــبح رجولة الرجل محلا لريبته.... وتســـاقطت دموع جففها بســـرعة وكأنها عورة.

راشيل : شيء بشع.

أحمـــــــد : قال إن أسرتنا كانت من أعيان هذه المدينة، كنا نعشق الفروسية، والحديث عن أجدادنا لم نتصور أن هذه الجماعات الهزيلة المرتجفة ســـتقوم باقتلاعنا نحن أصـــحاب البلد الذين نتحرك ونتصـــرف بثقة وخيلاء...... لم يكن من الممكن تصـــور أن بإمكانها طردنا من أرضـنا وضِـياعنا وقصـورنا.. كان يتكلم وكأنه يعتذر لي عما حدث للبيت والضـــيعة، لم يكن يعرف بعد أن البيت والضـــيعة والبلد أصـــبحت لا تعنيني وأنني لم أعد أكثر من وغدٍ تنازل عن بيته وضـيعته وجذوره وأصـبح كالزَّبد، أصـيب الفارس بخيبة أمل، كان يظنها ملحمة متتالية الفصـــول مات البطل عاش البطل.

راشيل : هون على نفسك يا أحمد.

أحمـــــد : ومع ذلك فكرت في البقاء، وأمسكت بالآلي وبحثت عن أعدائي فلم أجدهم فجأة تذكرت ما فعله الضـــابط وجنوده بــه في الحــال أطلقتــه عليهم ورأيتهم وقـد تفجرت الدماء من أجســادهم، ورأيت الأنســجة وقد تهتكـت، نفس الأنســجـة التي كـان يتعـامـل معهـا البروفيســير أمام أعيننا بيقظة وحرص وصــرامة وعزم ومسئولية مزقتها أنا بلا أي قدر من المبالاة أو المسئولية.

راشيل : اهدأ أرجوك.

أحمـــد : (مقاطعًا) ثماني سنوات وهم يعلموننا كيف ننقذ حياة الإنســان رأيت نفســي وأنا أقضــي على حياته بيدي وبإرادتي، ثماني سنوات ونحن نتلقى خبرة ووصايا نوع خاص من البشــر، حياة الإنســان هي الأيقونة الوحيدة في معابدهم. رأيت نفسي أحطمها وأرمي بها في وجوههم.

راشيل : هدئ نفسك يا أحمد.

أحمـد : كيف أتدرب عشرات الساعات على وقف نزيف الدم ويكون عملي هو إراقته؟.. تكلمي؟

راشيل : كفى يا أحمد كفى لا تتمادَ أكثر من ذلك.

أحمـــــد : ومع ذلك كيف سيمكنني أن أمحو من ذاكرتي إهانة الضابط له أمام عيني وتقاعسي عن الدفاع عنه؟

راشيل : لم تتقاعس، رأيتك تندفع نحو الجندي كالمجنون ولولا جنسيتك الأمريكية لأردوك قتيلا في الحال.

أحمــد : كسر الجندي ذراعه أمام عيني ولم أفعل شيئًا.

راشيل : كنت تحت سيطرة خمسة من جنودهم.

أحمـــــــــــد : والأدهى والأمر أن المأمور حذر الضابط من التعرض لي لأني أمريكي (يضـــحك في مرارة) أما هو عربي وبالتالي ليس له حق في الحماية الأمريكية ولا غير الأمريكية لماذا؟ لماذا؟

راشيل : أحمد أرجوك كفى.

أحمـــد : هل كان هو أحد النازيين الذين طاردوا أمك أو أباك هه؟.. تكلمي.

راشيل : لا.

أحمـد : هل كان يوماً معادياً للسامية؟

راشيل : لا.

أحمـــــــــــد : ولو كان من المعادين للسامية كيف تسامح مع أصحاب القبعات السوداء فور حضور طلائعهم إلى بلاده هه؟

لماذا لم يقاومهم؟ لماذا اعتبرهم إضـــافة إلي ســـائر اليهود الذين كانوا يعيشــون في مدينته؟ لماذا تقاســم معهم والزيتون؟ لماذا اعتبر ما تفعله العصـــابات اليهودية أقلية منحرفة بينما الأغلبية مسالمة؟

راشيل : هذا شيء بديهي.

أحمـــــــد : كيف لا أكون القاتل وتوقع على عقوبة الإعدام!؟ تكلمي.

راشيل : أعرف أنه ظلم.

أحمـــــــــد : لو كان له أي دور في مأساتكم من قريب أو بعيد لقلت ليأخذ جزاءه.

راشيل : أقر بأن لا دور له.

أحمـــــــد : لو كان حتى أوروبيًا لقلنا إنه أوروبي والأوربيون هم المســـئولون عما حدث لكم... إذا فهو يســـتحق العقاب.

راشيل : ولا الأوروبيون مسئولون.

أحمــد : ترينهم غير مسئولين رغم إذلالهم لكم عبر التاريخ؟

راشيل : لا أسمح لك.

أحمــد : لم أكن أعرف أنكم على هذا القدر من التسامح.

راشيل : لا داعي للسخرية أرجوك أرجوك.

أحمــد : من إذًا المسئول؟

أحمــد : نحن من؟ تكلمي.

راشيل : حضارتنا المعيبة القاصرة.

أحمــد : تهربين.

راشيل : (بعد لحظة صمت طويلة نسبيا) لو قدر لك أن تمسك بأصــابع طفل وتضــعها على مفاتيح البيانو... وترى كم هي صــغيرة وجميلة ورقيقة وملســاء... ســتجد نفسك تتناولها بحرص شديد وكأنك تمسك بين يديك تحفة نادرة صنعها الله للفرجة وليس لأي شيء آخر.

أحمــد : ما هذا العبث الذي تقولينه؟ سألتك سؤالاً محدداً.

راشــيل : (في ثورة عارمة) أنت لا يعنيك الســؤال المحدد ولا تعنيك إجابتــه مــا يعنيك هي الإجــابــة المحــددة التي أعددتها سلفاً وتتمنى سماعها مني لتطلق الرصــاص على صدري.

أحمـــــد : بأي شيء أطلق الرصاص؟ بالبندقية التي رفضت حملها بنذالة؟

راشـــيل : الآن نعم ولكن فيما بعد لابد أن تحملها.... لقد عرضت عليك شعوري وأنا أعلم الطفل الموسيقى لأبحث فيك عن الرؤية الشاملة المفتقدة في حضارتنا ولكن للأسـف وجدتك مثل الجميع ترى الأشـياء بشكل ناقص، تراها بلا بعدها الثالث. شأنك شأن النازيين أليسوا أبناء نفس الحضـارة أم أتوا من الفضاء؟

أحمـــــد : هكذا؟ ترين أن النازيين ضحايا حضارتنا الناقصة وبالطبع الإسرائيليين الذين اغتصبوا أرضه ضحايا حضارتنا الناقصة فمن الجناة؟ لابد أنه نحن إرهابيو هذا الزمان أليس كذلك؟

راشيل : حاول أن تفهمني.

أحمـــد : أفهم ماذا أو ماذا أو ماذا؟ إنني منذ أن وطأت قدماي هذه الأرض وأنا عاجز عن فهم أي شيء.

راشيل : أرجوك دعنا نفكر في ورطتنا بهدوء أكثر.

أحمـــد : أنت لست في ورطة، الذي في ورطة هو أبي والذي يداس بالأقدام هو أبي... ولأني ابنه ومن صـلبه فأنا بالتبعية مثله تحت الأقدام إلا إذا...

راشيل : إذا ماذا؟

أحمـــــد : عدت أدراجي واقتلعت نفسي من جذوري هنا فقط أكون خرجت من تحت الأقدام، ولكن قدمي اللعينة ستنضم لأقدامهم لنواصل نحن جميعًا سحقه، عرفت نوع الورطة التي أنا فيها الآن؟

راشيل : إن ما تقوله له دلالة خطيرة.

أحمـد : أعرف.

راشيل : مغادرتك لهذه المدينة ستكون انتحارًا لأنك لن تسامح نفسك أبدًا.

أحمـــــد : وأعرف أنى لن أعود كما كنت أبدًا سواء بقيت أم سـافرت، أعرف أن مسـتقبلي كجراح انتهى، فاليد الثابتة للجراح لا تسـتند على فراغ إنما على باطن راسـخ، والآن كل خلية في جسـمي أعتراها الشـك والاهتزاز، أصبحت مختلاً عقليًا.

راشيل : وأنا أيضاً لم أعد راشيل التي أعرفها والغريب أن هذا ما تنبأت به أمي.. قالت وهى تودعني.. لن تعودي يا راشيل... أقسمت بأني سأعود؛ قالت بثقة غريبة..

أحمـــــد : ثمة شيء ما في هذه الأرض قادر على استبدال عقلك بمنطقه الطبيعي بعقل له منطق خاص بهذه البقعة من العالم.

يجب أن نخرج من هنا فورًا يجب أن نسـافر متى يأتي ميعاد الطائرة اللعينة متى؟ إني أكاد أنفجر.

راشيل : لن أسافر.

أحمـد : ماذا؟

راشيل : هذا قرار اتخذته الآن وبعد حواري معك.

أحمـد : ها ها ها ألم أقل لك هذه أرض لها منطقها الخاص؟

راشـيل : لو سـافرنا لن نذوق طعم الراحة أبدًا، لا بد أن تبقى أنت أيضًا

أحمـد : لأجن؟

راشــيل : أحمد اســمعني جيداً وحاول أن تهدأ. إن ما حدث لنا هنا شيء خطير للغاية.

أحمـد : لا أنكر.

راشيل : يفرض المواجهة لا الهروب.

أحمـد : لنقاتل بعضنا بعضًا.

راشيل : لنتزوج.

أحمـــــــــد : (في نوبة من الضحك الهستيري) نتزوج، قلت نتزوج؟

راشيل : نعم.

أحمـــــد : على أنقاض أبي... نقف فوق جثته ونتبادل القبلات هه؟ ... راشيل أنا انبهرت بك نعم... لا أريد أن أفرط فيك نعم... ولكن المقام ليس مقام حب مقام كره... مقام يا قاتل يا مقتول.

راشـيل : أنا عكسـك أراه مقام حب وهذا بالضـبط ما أردت أن أوصـله لك عندما قلت لك إننا أبناء حضـارة ناقصـة معيبة، أتعرف لما هي ناقصة؟

أحمـد : لا يا حضرة الفيلسوفة.

راشيل : لأنها بالغة الكمال.

أحمـد : هاهاها أصابتك العدوى. راشيل أصبحت مثل هؤلاء الناس الذين يعيشــون في هذه الرقعة من العالم لا يفعلون شــيئًا غير اجترار أفكارهم وتكرار أخطائهم بينمـا يرددون نفس التعـاويـذ والأدعيـة دون تغيير حرف واحد، وكلما ازداد يقينهم بأنها نفس الكلمات القديمة؛ ازدادت وتيرة ترديدها وازداد حماسهم.

راشيل : افهم أولا قبل أن تتهمني بالجنون.

أحمـد : أفهم ماذا؟ أفهم ماذا يا مس راشيل؟

راشـيل : متي يفترض أن تبلغ درجة الكمال عندما تجرى عملية جراحية خطيرة؟

أحمـد : عندما يبلغ تركيزي أقصى درجاته.

راشـيل : رائع لكن على ما ينصـب هذا التركيز، أليس على الرقعة المحددة التي ستجري فيها العملية؟

أحمـد : ومعرفتي بكل ملليمتر فيها.

راشيل : هنا بيت الداء.

أحمـد : أي داء؟

راشـيل : كلما زاد التصـاقك بالرقعة الأضـيق ازداد تباعدك عن الرقعة الأوسـع لذلك عندما ذكرت لك انطباعي عن رؤيتي لأنامل الطفل وروعة صـنعة الله عجزت عن أن تشعر بما قلت ولذلك فأنت يمكن أن تنجح في إجراء العملية ولكنك لن تعثر على السعادة أو السلام الذي تنشده.

أحمـد : لقد قمت بالمطلوب مني على الوجه الأكمل.

راشيل : لتجتاز الامتحان وهذا بالضبط هو مصدر النقص.

أحمـد : أن أجتاز الامتحان...

راشيل : لأنه سباق والسباق هو وجه القصور في حضارتنا عندما يكون على جزء وليس على كل.

أحمـد : إن ما تقولينه لا يخلو من صحة ولكن ما الذي باستطاعتنا أن نفعله؟

راشيل : نحكم عقولنا.

أحمـد : كيف؟

راشيل : إذا غادرنا لن نتحمل تعذيب ضمائرنا.

أحمـد : وإذا بقينا ليس أمامنا إلا الصراع والدم والقتل.

راشيل : هذه هي قضيتهم.

أحمد : وهل هناك غيرها؟

راشـيل : أن نهاجم بالسـلام؛ سـلام بدايته الإنسـان ونهايته الإنسان.

أحمـد : إذا كنت تقصدين السلام القائم على المنطق وبعيدًا عن الأسطورة فأنت تحلمين.

راشيل : وهذا بالضبط ما قصدته أن نجرب الحلم.

أحمـد : أنت شيطانة صغيرة... ولكن رائعة.

راشـيل : أحمد لقد رأيت فيك الفارس النبيل الذي يصـعب على أي فتاة إذا ما عثرت عليه أن تفرط فيه، أنت الرجل الحلم يا أحمد ولن تتحقق سـعادتي إلا معك. (تمسـح دموعها)

أحمـد : هنا؟

راشيل : لا يمكن إلا أن تكون هنا.

أحمـد : وكيف تتحقق؟

راشـيل : مؤسـسـة أحمد وراشـيل في نفس البيت.. نبني ثلاثة أدوار جدد... دور عيادة.. ودور مدرسـة موسـيقى... والدور الثالث.

أحمـد : عش الزوجية ولكن من يمكنك من البيت؟

راشيل : النضال؟

أحمـد : بالسلاح؟

راشيل : بلا سلاح.

أحمـد : كيف؟

راشيل : بصفتنا أمريكان.

أحمـــــــد : مرة ثانية تقولين أمريكان مرة ثانية أعطه العقد يعطك البيت.

راشيل : نجرب مرة أخرى يا أحمد.

أحمـــــــد : المرة الأولى عدت يا راشيل وكانت عقوبتها أن ضـــحكوا منا، أما هذه المرة ترى ما ســـيكون عليه مصيرنا؟

راشيل : أنا أقبل المخاطرة هل تقبلها أنت.

أحمـد : وبكل سرور.

راشيل : لا يمكن أن يكون لنا آباء ونتصرف كلقطاء.

أحمـد : راشيل أنت تبهرينني بكلامك وتفكيرك.

راشـــيل : وانت تبهرني برجولتك وإخلاصـــك، إني أرى فيك الملاذ لخصـــوصـــيتنا. ربما يكون عندهم التقدم والنجاح ولكن كل شيء أصله هنا.

أحمـد : لا أنكر أنها أرض لها طعم ولون ورائحة.

راشيل : وفيها عبق لا ينسى شم يا أحمد شم.

أحمـد : يشم.

راشيل : شم أكثر.

أحمــد : ليس غريبًا أن تكون هذه مشاعر أبناء إبراهيم.

راشيل : تقصد أبراهام.

أحمــد : أول من ثار على الأصنام.

راشيل : رمز الغباوة والجمود.

أحمــد : هذا هو بقايا الهيكل.

راشــيل : (صــارخة) أحمد تقصــد أن بقايا الهيكل... هيكل سليمان... لا يمكن أن يكون إلا؟

أحمــد : الحب يا راشيل.

راشيل : وديعة سليمان المفقودة إذًا.

أحمــد : هي الحب لذلك مهما يحفروا لن يجدوا شيئًا.

راشــيل : (لنفســها كالحالمة) نعم ماذا يمكن ان يخلف الأنبياء وراءهم إلا الحب؟ فلنمزق التذاكر يا أحمد.

أحمــد : فلنمزقها يا راشيل.

(يمزقان تذاكر الطائرة)

أحمد وراشــيل معا: (وقد تشــابكت أياديهما) أيها العالم لقد عثرنا على الهيكل المفقود... أيها العالم ســنبقى على هذه الأرض... وســنحول الجحيم إلى جنة يتحدث بجمالها العالم.. ســنضــع نهاية للصــراخ والعويل... وستصمت إلى الأبد طلقات البنادق والمدافع وتصعد أصــوات التراتيل والمآذن إلى عنان الســماء ســتعود القدس مرة أخرى لتهدي السلام إلى كل من لم يعرف السلام.

(يسمع صوت الإذاعة الداخلية بالمطار لتعلن وصول طائرة الولايات المتحدة الأمريكية في نفس الوقت الذي يهم فيه أحمد وراشـــيل بالعودة بعد أن ألغيا ســفرهما ويأخذان في حمل حقائبهما، العربي وليفي المتربصــان بهما يظنان أنهما أزمعا الرحيل ضــمن باقي الركاب)

زكـــــــــي : (صـارخًا) لا لا فهمتم غلط مش مسـافرين مش مسافرين.

(يطلقان الرصــاص عليهما فيقع أحمد وراشــيل على الأرض ويداهما متشابكة).

زكــى : الحقد عماكم عن رؤية الحقيقة.

أحمــد : راشيل.

راشيل : أحمد.

أحمــد : تماسكي يا راشيل.

راشيل : يجب ألا نموت يا أحمد.

أحمــد : إني أنزف بشدة.

راشيل : أرجوك أن تبقى يا أحمد.

أحمــد : بعد أن قابلتك لابد أني سأبقى حيًا.

راشيل : أصبحنا مثلهم لنا حكاية.

أحمــد : قد يأت غيرنا يومًا ليحييها.

(يســمع صــوت ســيارة الإســعاف... رجال الإســعاف يحملونهما)

زكـــى : لماذا تغلقون أمامنا كل الأبواب لماذا لماذا؟

مســـئول الإســـعاف : مازالا على قيد الحياة، أســـرعوا إلى السيارة.

(يبكي)

ستار

الجمهور يصفر يضرب الأرض بأقدامه

أحدهم : خدعة.

آخــــر : اقتلوا الخونة.

آخــــر : اضربوا كل من اشترك في العرض.

آخــــر : لا مجرم غير المؤلف.

غــيره : هاتوه.

غــيره : امسكوه.

غيره : أقسـم أن زكي المصــري هو المؤلف، لفوا وامسـكوه قبل ما يهرب.

(تسـمع أصـوات خلف السـتار مع حركة يظهر أثرها من تموج الســتار في إطار جلبة شـــديدة من خلف الستار تميز بعض العبارات)

غيره : افتحوا الستارة أيها المتواطئون.

غيره: افتحوا الأنوار.

غيره : حاكموه أولا.

غيره : دعوه يدافع عن نفسه.

غيره : يضللنا.

غيره : جايب لنا بنت حلوة وملقنها كلام يقنعنا إنها جوليت وهى أُمنا الغولة.

غيره : يريد أن يضعنا بين فكي الذئبة اللي اسمها إسرائيل.

غيره : لنفرض أننا اقتنعنا بالسلام ما دليلك على اقتناعهم همه به؟

غيره : المستوطنات اللي بيبنوها يوميًا على الأرض المغتصبة؟

غيره : القتل اللي بيمارسوه يوميا كما لو كان حرفتهم؟

غيره : السجون المليانة بالشباب الفلسطيني؟

غيره : ارفعوا الأقنعة.

غيره : واخد كام يا زكي؟

غيره : اكشفوا عن حساباته في البنوك.

غيره : انت مخدوع يا سي روميو.

غيره : أعطوه فرصة ليدافع عن نفسه.

الجمهور : عميل خائن.

(يظهر رجال الأمن أمام الستارة المغلقة ويدخلون إلى المسرح حيث يسمع صوت قنبلة مسيلة للدموع، يفتح الستار من بين الدخان يخرج زكي وحيدًا على خشبة المسرح) .

زكي : أيوه أنا المؤلف. أنا لا عميل ولا خائن لكن هل فيه حرب ممكن تمتد للأبد؟ فيه صنبور يفضل مفتوح على طول؟ دا حنفية

الميه لما تسيب بنجري ونقفلها ودا دم مش ميه.

غيره : قول كلامك المعسول ده للمعتدين بتقوله لنا احنا ليه؟

زكي : احنا تسعين مليون همه كام؟

الجمهور : مالناش دعوة .

زكي : احنا دولة من آلاف السنين همه من امته؟

الجمهور : مش شغلنا.

زكي : عندهم قنابل نووية وصواريخ برؤوس نووية ومبيناموش من الخوف.

الجمهور : يتفلقوا.

زكي : عندهم تلال فلوس وإحساس مزمن بالفقر.

الجمهور : عاوزين علاج.

زكي : انتم قلتوها يبقى السلام مسئولية مين؟ المريض والا السليم؟

الضعيف والا القوى؟ المطمئن والا المرعوب؟ الثابت والا المهزوز؟

زكى : السلام مسئولية مصر.

الجمهور : ظهر على حقيقته..... سادات جديد.

زكى : أيوه سادات جديد وهازأر في تل أبيب بمسرحيتي زي ما زأر في الكنيست هازأر في ميدان الكونكورد في باريس، هروح بها لندن وبرلين ونيويورك هاعرضها أمام باب الأمم المتحدة ها اصرخ بأعلى صوتي أعطيه العقد يعطيك البيت هاعلن الحرب بالسلام على كل المعتدين.

الجمهور : اقتلوه اسحلوه.

(صفافير هياج شديد يقذفونه ببيض فاسد وأحذية قنبلة مسيلة للدموع... دخان)

عاوزين فلوسنا (يحولونها الى شعار يرددونه منغم)

(يخرج مدير المســـرح من الســـتارة المغلقة وســـط هتاف الجمهور وعدوانيته)

من فضـــلكم من فضـــلكم إدونى فرصـــــة أبلغكم قرار ادارة المســرح تعاد للجمهور قيمة التذاكر ويوقف العرض لأجل غير مسمى.

الجمهور : تعتريه حالة شديدة من الفرح

الجمهور : (يهتف) تحيا مصر تحيا مصر

ستار

آنستي العزيزة منى
(مسرحية من فصل واحد)

تأليف
فتحي عبد الغني حامد

أشخاص المسرحية

الطبيب : في نحو الستين من عمره.

الشاب : شاب في نحو الثلاثين من عمره.

منى : فتاة جميلة مليئة بالحيوية بنت طبيب العلاج الطبيعي.

الخطيب : فتى قوي البنيـة أنيق مفتول العضـــلات، خطيب منى.

التمرجي : تمرجي يعمل في عيادة الأب.

الزمن : مساء.

المنظر

حجرة الكشف بعيادة للعلاج الطبيعي.. عندما تفتح الستار يكون الطبيب منهمكًا في الحديث بالتليفون.

الطبيب : شوف يا دكتور إسماعيل.. زي ما بقول كده بالضبط.. أيوة قلق فظيع.. إحساس عميق بالعبث.. بتقول إيه؟.. دي فلسفة إيه يا إسماعيل.. أنا عمري ما كنت كده في أي يوم من أيام حياتي. أنا طول عمري وأنا متقبل الحياة على علاتها.. دلوقت متفهمش ازاي حاسس ان حياتنا دي كلها زي عدمها. بتقول إيه؟.. ازاي أبقى دكتور علاج طبيعي قد الدنيا وأقول كلام زي ده؟ يا إسماعيل وإيه الفرق بين أني أكون دكتور علاج طبيعي ولا أكون بالعب قرد. الأمر كله من أوله لآخره عبث في عبث. إيه؟ بتقول إيه دا كله ناتج عن موت مراتي؟ أنا مبنكرش إن موت مراتي هزني. زلزلني في الواقع من الأعماق يا إسماعيل.. والأكثر من كده خلاني أهتم بحاجات عمري ما كنت باهتم بيها.. والغريب ان مخي شغال على طول.. عامل زي كاميرا غطا العدسة بتاعها راح.. عمالة تلقط على طول بدون أي نوع من الانتقاء أو الاختيار. إيه؟ دا ناتج عن الوحدة اللي أنا بقيت عايش فيها؟ هي وحدة بعقل يا إسماعيل.. دي وحدة قاتلة والمصيبة إني حاسس إني بحارب معركتي لوحدي.. مفيش حد حاسس بي. إيه.. منى بنتي؟ وهي منى فضيالي يا إسماعيل؟ منى مشغولة بخطيبها. إيه؟ دا تقصير منها؟ أبداً والله بتحاول؛ النهاردة أهي عزماني هي وخطيبها على سهرة، لكن أنا مش عاوز أبقى عبء عليها؟ بتقول إيه؟ آخذ أقراص من اللي كتبتها لي. ما باخد منها يا إسماعيل لكن مافيش فايدة. خلاص يا سيدي أجيلك العيادة يا إسماعيل.. ماشي.. مع السلامة. (يجلس في إعياء ثم يضع رأسه فوق المكتب ويروح في إغفاءة. يتغير الضوء ويدخل التمرجي.) أيوة يا عباس.. خلاص شوية وها نقفل.

التمرجي : نقفل ازاي يا دكتور.. دا لسه فيه زبون مستني حضرتك.

الطبيب : ما دخلتوش ليه؟

التمرجي: دا قاعد من أول ما فتحت العيادة.

الطبيب : الله.. وليه ما دخلتوش؟

التمرجي: مرضيش يا بيه والله.

الطبيب : مش راضي يكشف؟ أمال جاي ليه؟

التمرجي: العلم عند الله يا بيه.

الطبيب : شكله إيه ده؟

التمرجي: جدع مؤدب قوي يا دكتور.

الطبيب : مؤدب؟ يعني إيه مؤدب؟.. هو كان جالك مريض قبل كده ومطلعش مؤدب؟ ما المرضى كلهم مؤدبين. دا عمر الإنسان ما يبقى مؤدب إلا إذا كان مريض.

التمرجي: أقول لحضرتك إيه بس؟.. والله أنا احترت في أمره ما شفتش عمري إنسان بالهداوة دي ولا التواضع ده ولا الأخلاق دي؛ طول ما هو قاعد حاطط وشه في الأرض زي البنت البكر وفكره مشغول قوي. مشغول في إيه.. مش عارف.. وكل ما أقول له اتفضل يا بيه ده دورك يقول لي مش مهم أنا هادخل الآخر خالص.. لغاية لما العيادة صفصفت. قلت له اتفضل يا بيه خلاص ما عادش غير حضرتك.

الطبيب : مرضيش برضه؟

التمرجي: قال لي سيب الدكتور يستريح شوية عشان زمانه تعبان.

الطبيب : غريبة قوي. إوصفهولي كده يا عباس.

التمرجي: مؤدب يا بيه.. جدع مؤدب قوي وحتة سكرة كده.

الطبيب : تفتكر يعرفني معرفة شخصية؟

التمرجي: العلم عند الله يا بيه.

الطبيب : راجل كبير يعني؟

التمرجي: أبدا شـــاب صـــغير بتاع ثمانية وعشـــرين.. ثلاثين سنة.

الطبيب : أنت عارف خطيب منى بنتي؟

التمرجي: لا لا لا لا.. بقول لحضـــرتـك دا مؤدب قوي يـا دكتور.

الطبيب : ملاحظتش فيه حاجة كده مكســـرة ولا مخلخلة ولا مهوية؟

التمرجي: أبداً.. أبداً.. أبداً قلت يا واد راقبه كده شوف هيحتاج كام جلسة؟ وأصل أنا يا دكتور مافيش مريض بيجي هنا إلا لما أراقبه كويس وأفضـــل أفحصـــه وأقول لنفســـي هيحتاج خمســـتاشـــر جلســـة كهربة.. لا دا هيحتـاج عشـــر جلســـات تدليك.. لا دا إيدك منـه والأرض.. ولما حضـرتك تكشـف وتقرر الجلسـات أشوف مين فينا اللي صح.

الطبيب : (يضحك) لا ظريف يا عباس.. الله يخزي شيطانك.. لكن إيـه رأيك مش أنـا كويس برضـــــه؟.. ودا بقى ملاحظتش فيه حاجة أبدا؟

التمرجي: قلت استنا ياد يا عباس يمكن يقوم يدخل دورة الميه والا حاجة لجل فضـــل الكريم.. قام مشـــي قدامي.. فضـلت أراقبه وهو ماشــي لقيته بيجر كويس قوي يا دكتور.. قلت ياد كلمه يمكن بقه معووج ولا حاجة.. كلمته لقيت بقه مظبوط على الشـــعرة. أول مريض احتار فيه يا دكتور.

الطبيب : يعني دفع فيزيته علشان يكشف.

التمرجي: من أول ما دخل اداني تلاتين جنيه كشـف وخمسـة جنيه عشاني.

الطبيب : طب دخله.. دخله يا عباس.

التمرجي: أنت ما شفتش ملاك قبل كده يا دكتور؟

الطبيب : محصليش الشرف.. دخله بقى وخلصنا.

(من الخارج) اتفضـــل.. اتفضـــل يا بيه.. (يدخل الشـــاب وهو إنسان في غاية الرقة وجهه ينم عن إنسانية دافقة).

الشاب : مساء الخير. (بهدوء شديد)

الطبيب : مساء الخير.

الشاب : أرجو إني مكنش أزعجت حضرتك.

الطبيـب : أبـداً.. العيـادة مفتوحـة ومهمتي إني اســـتقبل أي مريض، يبقى فين الإزعاج!

الشاب : متشكر قوي.. تسمح أقعد.

الطبيب : طبعا.. اتفضل.. اتفضل.

الشاب : أرجو إن ده ميضايقش حضرتك.

الطبيب : إطلاقاً.

الشاب : متشكر قوي.. الحمد لله.. أنا الحقيقة باشكي من حاجة غريبة حبتين.

الطبيب : أيوه اتفضل.. اتفضل بتشكي من إيه؟

الشاب : أرجو إن سيادتك ما تندهش.

الطبيب : إيه اللي هيدهشني يا ابني أنا مرت عليا حالات الدنيا والآخرة... يعني خلاص مبقاش فيه شيء في العالم ممكن يدهشني.. اطمن خالص.. اتفضل.

الشاب : أنا يا فندم لما باجي أمشي بـ.. (يتردد)

الطبيب : (مكملا) بتزك برجلك مش كده.. دي حاجة سهلة خالص وعلاجها سهل قوي.. لا.. لا متخافش أبداً.. وإيه يعني لما تزك شوية وبعدين تخف.. ولا حاجة.. اتفضل نام عشان اكشف عليك.

الشاب : ما أقصدش كدا يا دكتور.

الطبيب : متأسف أمال بتحس بإيه؟

الشاب : أنا الحقيقة خايف حضرتك تندهش.

الطبيب : ما أنا قلت لك يا ابني مش هندهش.

الشاب : أنا أبقى ماشي في الشارع عادي جدا زي كل الناس وبعدين أحس بـ... .

الطبيب : (مشجعا) حاجة زي زرجنة في مؤخرتك مش كده؟ (مسترسلاً) دا يبقى أصلاً ناتج عن تعب في العمود الفقري لكن علاجه بسيط قوي وكام جلسة كهربا كده حتبقى عال.. اتفضل نام عشان أفحصك.

الشاب : أنا مقلتش كده أنا مؤخرتي سليمة يا دكتور.

الطبيب : أمال بتحس بإيه؟

الشاب : توعدني إنك ما تندهش.

الطبيب : افرض يا أخي إني اندهشـــت هو يعني الاندهاش بالخطورة دي؟ اطمئن يا سيدي أنا أصل مش معقول هاندهش لأن عندي خمسة وستين سنة وشفت مش أقل من مليون مريض.

الشاب : معلهش أوعدني.

الطبيب : خلاص يا سيدي أوعدك.. هه اتفضل وأنت ماشي بتحس بإيه؟

الشاب : بحس بأني عاوز اشتم الدنيا.

الطبيب : نعم.. أفندم.. قلت إيه حضرتك.

الشاب : آه شفت أديك اندهشت.

الطبيب : آه والله صحيح.. لا معلش حقك على فاتتني دي.

الشاب : وكل خوفي دلوقت انك تفتكرني كدا ولا كدا.

الطبيب : مخبيش عليك أنا بدأت فعلاً افتكرك كدا ولا كدا.

الشاب : شفت؟ جالك كلامي؟

الطبيب : فعلا.. فعلا.. لا.. لا.. لا عندك حق.

الشاب : واللي مخوفني اكتر انك مترضاش تسمعني للآخر.. وأنا محتاج إنك تسمعني للاخر يا دكتور.. أرجوك.. أرجوك.. محتاج إنك تسمعني للآخر.

الطبيب : حاضر.. حاضر هاسمعك للآخر.. تسمح بقى أولع البايب.

الشاب : اتفضل.. اتفضل يا دكتور.

الطبيب : أرجو إن دخان البايب ميكونش يضايق حضرتك.

الشاب : أبداً يا دكتور ابداً.. الأوضة واسعة والتهوية جيدة.. يبقى حاتضايق من إيه؟

الطبيب : أيوه يا سيدي بتحس انك عاوز تشتم العالم.. ازاي بقه؟

الشاب : بحس بوجود صوت غريب جواي عمال يهمس لي بعبارات غريبة.

الطبيب: زي إيه بقه؟

الشاب : زي ليسقط العالم.. لتحترق هذه الدنيا.. اللعنة على كل شيء.. عبارات من هذا القبيل بتطلع جواي.

الطبيب: هو فيه نقطة واحدة أحب أني أوضحها لحضرتك.

الشاب : اتفضل يا دكتور.

الطبيب : وهي إن الدكاترة بتنقسم في التخصصات، يعني فيه دكتور باطني وفيه جراح وفيه بتاع أطفال وفيه نفساني.

الشاب : شفت بقه يا دكتور أديك بدأت تشك.

الطبيب: أبدا.. أبدا.. هو بس كنت عاوز أوضح إن اللي يفهم حالتك دي دكتور نفساني.. الحقيقة أنا دكتور علاج طبيعي وعشان اقرب تخصصنا لذهنك، أقدر أمثل لك الإنسان بالعربية مثلاً فأقول لك إن تخصصنا بينحصر في أجزاء الحركة أو أجزاء الجر مثلاً زي الشاسيه.. السست.. المساعدين.. إلى آخره.. فكون حضرتك بتحس انك عاوز تشتم العالم فده لا شك ميدخلش أبدا في تخصصنا، ده الحقيقة عاوز دكتور نفساني.

الشاب : أنا فاهم كل ده يا دكتور.

الطبيب: يعني حضرتك عارف الحكاية دي كويس؟

الشاب : طبعاً يا دكتور.

الطبيب : لكن ده لا يعني إني مش عاوز أسمعك.. أبدا.. أبدا.. معاذ الله.. دا حتى يمكن الحاجات اللي بتطلع جواك دي بدأت الأيام دي تطلع جواي أنا كمان.

الشاب : ليه هو حضرتك بتحب انت كمان يا دكتور؟

الطبيب: هي مشكلتك انك بتحب؟

الشاب : هي دي الحقيقة يا دكتور (بانكسار) هي دي الحقيقة.

الطبيب: يبقى خلاص مفيش مشكلة.. تاهت ولاقيناها.

الشاب : يعني إيه؟

الطبيب: تتجوز اللي بتحبها يا أخي.

الشاب : (يضع رأسه في الأرض) الحقيقة..

الطبيب: (مقاطعاً) وانا ملاحظ كمان ان أي بنت تتمناك؛ شاب في مقتبل العمر ووسيم كمان.. اسمع قوم امش قدامي كدا..

الشاب : أنا يا دكتور؟

الطبيب : أيوه انت أمال أنا.. (الشـــاب يمشـــي) لا عال بتجر كويس خالص وأصـــل أهم حاجة في الإنســـان مننا أعضـــاء الحركة، وما دامت ســـليمة وفعالة يبقى خلاص مفيش مشكلة.. اتجوز وانت قلبك زي الحديد.

الشــاب : الحقيقة يا دكتور انت كونت الرأي دا عشــان بتحكم علیا من الظاهر لكن فيه حاجات داخلية مش ممكن تتعرف بمجرد النظر.

الطبيب : (متأملاً) قلت لي حاجات داخلية متتعرفش بمجرد النظر.. آه.. مشـــكلة فعلاً.. اســتنا يا بني لما أولع البايب.. شوف يا بني أنا بشاركك الشعور فعلاً بإنها مشكلة.. مشكلة خطيرة فعلاً خاصة بالنسبة لشاب في سـنك لكن الحقيقة ان ده مش اختصــاصـي.. لكن ها ابعتك لواحد متخصــص واطمن خالص وها تخف وتبقى عـال قوي وأنـا معـاك ان الحكـايـة دي ممكن تطير العقل من الدماغ وانا بيتهيأ لي ان الحكاية دي ممكن هي اللي مخليـاك مؤدب الأدب الفـاحش ده.. وانت فعلاً عندك وفرة في الأدب مش عادية.. مش عادية أبدا..

الشاب : حكاية إيه يا دكتور؟

الطبيب : يا ابني الحكاية الداخلية اللي مفيش حد يقدر يعرفها.

الشاب : دكتور صدقني.. مش فاهم.

الطبيب : يـا ابنـي الحـاجـات اللي بتخلي الراجل يبقى راجل والست تبقى ست.

الشاب : (بانفعال) إيه الكلام ده يا دكتور.

الطبيب : يا ابني ما انت اللي بتقول.

الشاب : (مواصلاً انفعاله) أنا زي الحديد يا دكتور.

الطبيب : بتقول زي الحديد!

الشاب : أيوه.

الطبيب : الحديد.... الحديد؟

الشاب : أيوه الحديد الحديد.

الطبيب : الحديد.. الحديد الحديد؟

الشاب : أيوه الحديد.. الحديد الحديد.

الطبيب : أمال إيه المشكلة بقى؟

الشاب : دي مشاكل داخلية يا دكتور.

الطبيب : زي إيه؟

الشاب : أنا خايف حضرتك تندهش.

الطبيب : أنا اندهشت بما فيه الكفاية.

الشاب : أصل أنا معقد قوي من الاندهاش ده يا دكتور.

الطبيب : يا ابني الحقيقة مخبيش عليك؛ انت لك تصـــرفات مش بس تدعو للدهشـة، دي تخلي الواحد يشد شعره ويطلع من هدومه كمان... ويسيب لك المكان ويطفش كمان.. الله.. الله بقى..

الشاب : زي إيه يا دكتور؟

الطبيب : الأدب بتاعك دا يا ابني مســـألة مفيش شـــك تدعو للدهشة.

الشـــاب : دكتور من فضـــلك أنا ما احبش ان أي حد يســـخر مني.. أنا لي مركزي.

الطبيب : معلش حقك علي.. متزعلش يا سيدي آسف جداً.

الشاب : أنا معايا ماجستير في القانون يا دكتور.

الطبيب : ماشي يا سيدي ماشي.

الشاب : شوف يا دكتور. (يخرج أوراقه)

الطبيب : مصدقك.

الشاب : اتفضل اقرا.. اقرا يا دكتور.

الطبيب : (يقرأ) ماجســـتير مع مرتبة الشـــرف من الدرجة الأولى.. ما شاء الله ربنا يكتر من أمثالك يا ابني.

الشاب : وكنت بحضر رسالة دكتوراه وبعدين توقفت.

الطبيب : ليه كده خسارة؟

الشاب : انشغلت بحل المشاكل الأساسية اللي بتواكب حركة العالم.

الطبيب : نعم.. قلت إيه حضرتك؟

الشاب : أيوه .. عيب كبير إن البشرية تتقدم التقدم ده كله من غير ما تحل المشاكل دي.

الطبيب : مشـاكل إيه دي يا بني رخرة؟ هو خبر إيه يا ابني... خبر إيه.. هو فيه إيه بالضبط؟

الشاب : المشاكل اللي بتواكب حركة العالم يا دكتور.

الطبيب : ودي تتفهم ازاي يا ابني بس؟

الشاب : الاقيش عند حضرتك سبورة؟

الطبيب : يا بني دا مش كُتّاب.. مش كُتّاب يا بني.. دي عيادة.

الشاب : انت حضـرتك تعرف طبعًا ان من يوم ما بدأت تعي الوجود وانت تسـمع عن مشـاكل مزمنة بتعاني منها البشرية؟

الطبيب : أمري لله.. زي إيه يا بني زي إيه؟

الشاب : زي الحرب والجوع والتفرقة العنصرية.

الطبيب : أيوة يا سيدي باسمع.

الشاب : ورغم التقدم الكبير اللي أحرزته البشرية في شتى المجالات إلا إنها عجزت عن التخلص من المشاكل دي.

الطبيب : مضبوط.

الشاب : تفتكر ليه يا دكتور؟

الطبيب : (صمت)

الشاب : ليه؟

الطبيب : أنا يا ابني الحقيقة عمري مافكرتش في حاجة زي كده، لكن لو شغلت مخي شوية أقدر أقول يمكن يكون حلها صعب شوية وإلا حاجة.

الشاب : لا يا دكتور لو حضرتك شغلت مخك بشكل أكفأ من كده هتلاقي إن البشرية حلت مشاكل أصعب من كده بكتير.. دي قدرت تنتصر على الزمان والمكان.

الطبيب : نعم يا سيدي؟

الشاب : يعني بعد ما كان لازم لنا سنة نعمل عمل معين أصبح مش لازم لنا غير ثانية واحدة.

الطبيب : أيوة كده.. معقول.

الشاب : يبقى مش المشكلة إنها صعبة.. المشكلة ان فينا حاجة غلط.. المشكلة ان تفكير البشرية بيتقدم لكن للأسف إحساسها مبيتقدمش لأن لو إحساسها بيتقدم كانت حست بالمرارة اللي بيشعر بيها فلاح عراقي منكب على أرضه عمال يستجديها عشان تديه زرعة خضرة يعيش بيها هو وأولاده وبعدين بيلاقي قنبلة تنزل عليه تشيله أو تشيل دراعه أو رجله أو تشيله كله.. كانت حست بالمرارة اللي بيشعر بيها أي فلسطيني بيستأصل من أرضه ويترمي في خيام على حدود أرضه عشان يتفرج على ناس جايين من الشرق والغرب علشان يحتلوا بيته اللي مش لازم لهم ولا هم محتاجينه وبيجوا تحت ضغط الدعاية والتسويف.. شعرت بالمرارة اللي بيحس بيها أي جائع مش لاقي لقمة.. شعرت بالمرارة اللي بيحس بيها أي إنسان في جنوب إفريقيا معملش حاجة أكتر من إنه ربنا خلقه أسود.

الطبيب : بس كلنا بنستنكر الحاجات دي يا ابني.

الشاب : أيوه يا فندم بنستنكر لكن ليه مبنذهبش لأبعد من كده؟

الطبيب : والله يا ابني مش عارف.

الشاب : لأننا عاجزين عن الإحساس بالغير.. باختصار البشرية عقلها بينمو لكن قلبها متوقف عن النمو.

الطبيب : كلام مضبوط وحلو بس دخلي أنا إيه بكل ده؟

الشاب : دخلك إيه إزاي يا دكتور؟ ما هو لو تصورنا إن البشرية دي جسم زي جسم الإنسان هنجد إن فيه عضو من أعضاء الجسم ده مصاب بنوع من الهمود.. بنوع من الاسترخاء.. بنوع من الشلل.

الطبيب : قلت لي.. هو ده الكلام يبقى عشـــان كده إنت جيت لي.

الشاب : عشان إيه يا فندم؟

الطبيب : ما خلاص بقى كده بانت لبتها.

الشاب : لبتها إيه يا دكتور؟

الطبيب : وموافق كمان يا سيدي.

الشاب : وموافق على إيه مش فاهم؟

الطبيب : (متهللا) انت جاي لي عشان أدلك لك البشرية.. هو صـــحيح دي أول مرة أقوم بتدليك البشــــرية لكن ممكن... ممكن قوي.. بس استنا أما أولع البايب.

الشاب : أنا يافندم مش جاي عشان تدليك البشرية.

الطبيب : (يضع البايب جانبا بدون إشعالها) نعم ودي برضه لأ؟

الشاب : أيوه يافندم لا.

الطبيب : أمال يا ابني انت جاي لي ليه؟ أنا دخلي إيه في الكلام اللي بتلت وتعجن فيه ده من الصبح؟

الشاب : أنا قلت يافندم ان حضرتك ملكش دخل؟

الطبيب : لا مقلتش لكن لغاية دلوقت أنا مش عارف اشـمعنى أنا بالذات اللي اخترته من سائر خلق الله عشان تدفع له فيزيته بتلاتين جنيه وتدي التمرجي بتاعه بقشـيش خمسة جنيه وتفضل تصدع في دماغه ساعة كاملة بالشكل ده؟

الشـاب : اهدا بس يافندم.. اهدا.. أنا من الأول كنت خايف إني أسبب لك أي نوع من الإزعاج.

الطبيب : هو انت سـببت لي إزعاج وبس، دا انت عملت لي لخبطة في مخي. عملت لي لحسة في دماغي.. خليت مخي ده بقى بزرميط خالص.

الشـاب : ما هو بس يافندم لو حضـرتك ادتني فرصـة اشـرح لك.

الطبيب : هتشرح لي إيه والا إيه؟

الشـاب : كل اللي احنا محتاجينه يافندم إننا نمسـك الخيط من أوله

الطبيب : هو باين له أول من آخر؟

الشـاب : أنا أصـلا جاي لحضـرتك عشـان فيه عبارات بتطلع جواي.

الطبيب : أيوه دي عارفها كويس قوي.

الشاب : وقلت لحضرتك ان ده بيحدث عشان بحب.

الطبيب : حصـل.. حصـل بس انت بتطلع جواك عبارات معينة.. أنا مالي؟ انت بتحب أنا مالي؟.. انت معاك ماجستير.. أنا مالي؟.. انت توقفت عن إكمال رسالة الدكتوراه أنا مالي؟ انت مشغول بحل المشاكل الزفت اللي بتواكب حركة الهباب أنا مالي؟.. قلت لي إن البشـرية مصـابة بنوع معين من الاسـترخاء في مشاعرها قلت لك أدلكها لك معجبكش يبقى أنا مالي؟ واشمعنى أنا بالذات اللي جاي تقلب مخه بالكلام ده.. ثم فيه مسـألة تانية إنت اخترتني أنا بالذات ازاي؟.. اخترتني بعجلة روليت؟ طلعتني من دليل التليفونات؟ ما هو لازم يكون اخترتني أنا لسبب إذا كنت إنسان عاقل صـحيح، أما إذا اكتشـفت.. إذا أنا اكتشـفت.. شوف.. أنا بحذرك

إذا حصــــل واكتشـــفت إن معندكش ســـبب وجيه يبرر اختيارك لي أنا بالذات؛ والمصحف يا اسمك إيه إنت لمبلغ مســتشــفى المجاذيب فوراً، أنت فاهم! لا يمكن واحد زيك ينســاب كده على حل شــعره عشــان يشــغل الناس الهلهلية بالمشــاكل الأســاســية اللي بتواكب حركة العالم أنت فاهم؟ اتفضل اتكلم واوعى تقول نمسك الخيط من أوله فاهم؟

الشاب : ما هو يافندم..

الطبيب : (مقاطعاً) شوف أنا تاني باحذرك حسك عينك تطلع مجنون، أحســن وديني ماهســيبك إلا في العباســية.. استنا بقى أما أولع البايب.

الشاب : شفت أديك زعلت يافندم.

الطبيب : ملكش دعوة بص... إنت ملكش دعوة.. أزعل أتفلق أطق من جنابي ملكش دعوة أنا وعدتك أني هاسمعك وهاسمعك تحت أي ظرف حاسمعك.. لكن مفيش حد يلزمني أني أســـمع واحد مجنون.. يعني إذا بدرت منك أي كلمة أي إشـــارة أي حركة كده ولا كده تدل على إنك مجنون يبقى وعدي كأن لم يكن. وتـاني والمصـــحف لأبيتك في الخانكة وأحب أعرفك إن مدير الخانكة صـــاحبي.. أخويا.. متربيين مع بعض، بس هو راح الخانكة وأنا بقيت على الحال اللي انت شـــايفه ده ولســـه مكلمني دلوقت في التليفون.. يعني أرفع سماعة التليفون واطلبه تاني.. اتفضل بقى اتكلم إنت جاي هنا ليه؟

الشـاب : (يظهر بإحساس المذنب) أنا قلت لحضرتك قبل كده ان بتطلع..

الطبيب : (مكملاً) جواك عبارات غريبة.. وأنا مالي؟

الشاب : وأنني..

الطبيب : مشـغول بالمشـاكل الأسـاسـية اللي بتواكب حركة الزفت.. وأنا مالي؟

الشاب : وأنني بيحصل لي كده عشان بحب.

الطبيب : وأنا مالي؟

الشاب : (مترددا).. بحب بنتك..

الطبيب : وأنا مالي؟.. إيه بنتي؟.. بنتي أنا؟

الشاب : أيوه بنتك.

الطبيب : بنتي أنا؟

الشاب : أيوه يافندم بنتك منى.

الطبيب : وعارف اسمها كمان!

الشاب : أرجوك إذا سمحت ماتندهش.

الطبيب : مندهش.. بتقول مندهش تروح لراجل شرقي في عقر داره وتقول له في وشـه خبط لزق كده بحب بنتك وعاوزه مايندهش؟ دا أنا بس مش هاندهش دا أنا هكسـر دماغك دا أنا هفشـفش نفوخك (ينادي) يا عباس.. يا عباس الكلب.. إنت مؤدب إنت؟ دا إنت معندكش رحت التربية.. إنت هتشـوف دلوقت إيه اللي هاعمله (بعصبية) إنت يا زفت يا عباس.

(يدخل التمرجي)

التمرجي: كفى الله الشر يا بيه.. خير؟

الطبيب : خذ المؤدب بتاعك ده من هنا فورًا.. الله يخرب بيتك لبيته.

التمرجي: فيه إيه بس يا بيه؟

الطبيــب : شوف مطرح ما جبته توديه.. إنت جيت لي منين؟ اترميت عليا من أنهي داهية الليلة؟

التمرجي: ليه بس يا بيه.

الطبيب : من غير ليه هو كده وخلاص.

التمرجي: طب فهمني يا بيه.

الطبيب : من غير ما تفهم تاخده وتصرف فيه بمعرفتك.

التمرجي: لا حول ولا قوة إلا بالله.

الطبيــــب : (لنفســه) قال بيحب بنتي قال... جالي منين ده... إترمى عليا من أنو داهية في الليلة السودة دي؟

التمرجي: (متأثراً) الجدع بيعيط يا بيه.

الطبيب : فين البايب، راحت فين البايب؟

التمرجي: شايف يا دكتور؟

الطبيب : شايف إيه ونيلة إيه، هي راحت فين البايب؟

(البايب بين شفتيه دون أن يدري)

التمرجي: ما تفحصه تاني يا دكتور.

الطبيب : دا إنسان غير قابل للفحص.. استريحت؟

التمرجي: إنت طول عمرك بتخدم الناس يا بيه اشمعنى الجدع المؤدب ده بس اللي هتحوش نفسك عنه؟

الطبيب : إنت عرفت قبل ما اتكلم المؤدب ده قال إيه؟

التمرجي: قال إيه بس يا بيه؟

الطبيب : ولا حاجة ولا حاجة.

(يشعل البايب ويهدأ نسبياً)

التمرجي: علشان خاطري يا بيه شوف حكايته إيه؟

الطبيب : (متأثر جداً) لسه بيعيط.

التمرجي: دموعه عماله تسيل على خده يا بيه.

الطبيب : طب سيبهولي شوية... سيبهولي شوية يا عباس واتفضل إنت.

(التمرجي يربت على كتف الشاب)

الطبيب : غور إنت يا سي عباس.

التمرجي: نعمل له تحويطة يا بيه؟

الطبيب : قولت لك غور إنت يا سي عباس.

التمرجي: (لنفسه وهو خارج) بس لو أعرف علته.

الطبيب : (ناظراً للشاب بشفقة) لا حول ولا قوة إلا بالله... اعمل له إيه بس... صلى على النبي يا بني وبلاش حكاية العياط دي.

الشاب : اللي مزعلني إن حضرتك زمانك واخد على خطرك مني.

الطبيب : لأ خلاص مافيش حاجة... بس إنت بطل عياط أحسن منظرك وانت بتعيط ما اعرفش هزني كده ليه... المهم مش يمكن تكون غلطان وهي لا بنتي ولا حاجة؟

الشاب : لا يافندم بنتك.

الطبيب : يا ابني عيد نظر.

الشاب : والله بنتك.

الطبيب : (باستعطاف) شوف يا ابني أنا الحقيقة عايز أوصل معاك لحالة من الوفاق مفهمش ليه... إنت يا ابني فيك حاجة غريبة أوي بتخلي الإنسان يعطف عليك وما يحبش يتسبب لك في أي زعل... وبالتالي هي لو ما طلعتش بنتي هيبقى صافي يا لبن وهاحط إيدي في إيدك وأقول لك مع السلامة وانت تقول لي الله يسلمك واضحك لك وتضحك لي وألوح لك بالمنديل من الشباك وأقول لك باي باي وانت تقول لي باي باي وهتبقى حاجة حلوة أوي... حاجة تفرح.. إيه رأيك تفكر؟

الشاب : ما هو يافندم.

الطبيب : (مقاطعًا) فكر إنت بس كده على مهلك... وركز... كل اللي إحنا محتاجينه شوية تركيز.

الشاب : ما هو يافندم أصل...

الطبيب : (مقاطعًا) اسمع كلامي وركز شوية ده التركيز حلو أوي وصدقني ولا هتطلع بنتي ولا حاجة... وتلاقي العملية كلها من أولها لآخرها تهيؤات.

الشاب : بنتك يافندم بنتك.

الطبيب : يعني مفيش فايدة؟

الشاب : بنت حضرتك يافندم والله.

الطبيب : أد كده واثق؟

الشاب : أنا أتوه عنها يافندم... أتوه عن منى يافندم... دي صورتها مبتفارقنيش لحظة واحدة.

الطبيب : أمرك يا سيدي.. ماشي... بنتي، لنفرض إنها بنتي.

الشاب : منفرضش يافندم، هي بنتك.

الطبيب : (الذي يشعر بالاختناق) خلاص... بنتي... ما هو بالبداهة كده تبقى جاي عشان تخطبها وفي الحالة دي هقولك دي مخطوبة وبرضو صافي يا لبن.

الشاب : أنا ماقولتش كده يافندم.

الطبيب : (في ثورة عارمة) كمان مش جاي تخطبها؟

الشاب : (في ربكة عظيمة من ثورة الطبيب المفاجئة) ما هو يافندم..

الطبيب : ما هو إيه ونيلة إيه؟ يا أخي هو إنت خليت فيها ما هو! إذا كنت مش جاي تخطبها أمال تبقى جاي ليه؟ تستأذني وتاخدها لفه (صارخاً في جنون) أنا مبأجرش بنات، فاهم ولا لأ؟

الشاب : أنا يافندم؟

الطبيب : (مقاطعاً وهاجماً عليه) إنت إيه يا أخي... حكايتك إيه يا أخي مستقصدني ليه يا أخي.. مضطهدني ليه يا أخي.. مستهيفني ليه يا أخي؟؟ مستهبلني ليه يا أخي؟

الشاب : يافندم أنا عمري ما فكرت في حاجة زي كده، أنا إنسان خجول جداً ومتربي كويس.

الطبيب : ما هو ده اللي مصبرني عليك لولاش كده كان زماني ضربتك بالنار وقطعتك حتت كده وكلتك بسناني كده.

الشاب : دا كان نفسي أسلم عليها وأواسيها في وفاة والدتها وماقدرتش أبدًا.

الطبيب : هو أنت كمان تعرف إن والدتها توفت!؟

الشاب : أمال يافندم.

الطبيب : وعرفت منين؟ تكونش ابن الحانوتي اللي..

الشاب : لا يا فندم أنا ساكن في الشارع اللي وراكم.

الطبيب : شارع تهامي؟

الشاب : أيوه.

الطبيب : بس دي أول مرة أشوفك يا ابني.

الشاب : دانا اشتركت كمان في جنازة المرحومة يافندم.

الطبيب : اشتركت كمان في الجنازة؟

الشاب : أمال يافندم. دا أنا كنت ماشي جنب الخشبة بالضبط.. وعمال اعيط.

الطبيب : هو انت كنت تعرفها؟

الشاب : أمال يافندم.. دي كانت الله يرحمها أطيب وأطهر وأرق إنسانة شفتها في حياتي.

الطبيب : أيوه.. الله يرحمك يا فكرية.. (يبكي ويبكي معه الشاب)

الشاب : دي لما كنت أبص لها أحس إني أمام الفضيلة وجهًا لوجه.

الطبيب : أيوه أمام الفضيلة خبط لزق.. والله يرحمك يا فكرية.

الشاب : يا سلام على إنسانيتها يافندم.

الطبيب : تلاتين سـنة وإحنا عايشـين مع بعض.. بحب وود مالوش مثيل.

الشاب : عارف يافندم عارف.

الطبيب : سابتني للوحدة تنهشني.

الشاب : قد إيه.. حضرتك صعبان عليا.

الطبيب : باتعذب يا ابني.

الشـاب : عارف يافندم.. عارف أنا من الأول وأنا حاسس بمأساتك. (يشاركه البكاء) الله يصبرك يا فندم.

الطبيب : أنت نموذج غريب من الناس.

الشـاب : أبدًا يافندم هو الإنسـان ان مكنش يحس بغيره ازاي يبقى إنسان.. دا احنا كلنا غرباء في كون لا يحفل بينا يافندم.

الطبيب : إنت حركت في نوع غريب من المشـاعر يا ابني.. أنت بتحب منى بنتي قوي؟

الشاب : بلا حدود يا دكتور.

الطبيب : من زمان يا ابني؟

الشاب : من زمان قوي يا دكتور.

الطبيب : كنت بتشوفها؟

الشاب : مفيش يوم كنت باسمح له يمر غير لما أشوفها.

الطبيب : كانت بتشوفك؟

الشـاب : كنت الأول بخليها تشـوفني وبعد كده بقيت أحاول اختفي عن عنيها.

الطبيب : ليه كده؟

الشاب : في الأول كانت بتندهش لما تشوفني ببحلق فيها.

الطبيب : وبعدين؟

الشاب : بقيت تضحك.

الطبيب : بداية زي الفل أهه.

الشاب : للأسف مكنتش بتضحك لي.

الطبيب : أمال كانت بتضحك لمين؟

الشاب : بتضحك عليا في الواقع.

الطبيب : إنت.. ليه؟ دا إنت إنسان تستحق كل احترام... معاك ماجستير في القانون ومثقف ثقافة عالية ومشغول بالمشاكل الأساسية اللي بتواجه معرفش إيه اللي بتقول عليه ده.

الشاب : أنا أصل يافندم دايمًا ماشي سرحان واللي يشوفني يقول عليه تايه ويمكن يفتكرني أبله.

الطبيب : (بانفعال) أبله... يفتكرك إنت أبله! مين يقدر يقول عليك كده.... ده قطع لسان اللي يقول عليك كده.. إنت مزعج جايز... محير شوية منكرش... عندك قدرة إنك تطلع أي إنسان من هدومه... أيوه... أيوه... لكن أبله.. لا لا.

الشاب : بس يافندم متقدرش تدّخل في تكوين فكرة الناس عنك.

الطبيب : ناس... هو في ناس في الدنيا دي يا ابني... دا أنا عزاني في مراتي مش أقل من ألف إنسان عمري ما حسيت بحرارة العزاء ولا دفء المشاركة اللي خلتني أحس بيهم... أنا من ساعة واحدة كنت بكلم دكتور صاحبي كنت بشكي له من إحساسي بالوحدة والغربة عن الدنيا كلها... كنت حاسس زي بصابيص نار عمالة تلسع في جسمي... إنت خلتني أحس براحة غريبة أوي... أنا مش عارف أشكرك إزاي يا... الله... إنت اسمك إيه؟

الشاب : عيسى يافندم.

الطبيب : عيسى... يا سلام يا عيسى... إنت أحسن حاجة عملتها لي إنك خلتني أعيط الشوية دول... إنت ما تعرفش عملوا فيه إيه... يظهر إن الإنسان محتاج يعيط زي ما هو محتاج يضحك... دول زي ما يكون شغلوني من تاني تصور... أنا بقيت حاسس بالسلام بينتشر في كياني كله (بفرح) إيه ده كله... إيه ده كله... الدنيا بقيت ناعمة زي الحرير وطرية زي القطيفة!

الشاب : إحنا كلنا واحد يافندم... إحنا اللي بيفصلنا عن بعض أغشية رقيقة أوي يافندم... المفروض إن كل ما تتقدم البشرية الأغشية دي ترق أكثر لكن للأسف بيحصل العكس، الأغشية دي عمالة تتخن أكثر وأكثر لغاية لما بقت زي الجدران اللي يستحيل اختراقها.

الطبيب : لكن ما حاولتش تكلمها أو تتعرف بيها؟

الشاب : أبدًا.. طول عمري وأنا بحبها عن بعد.

الطبيب : طب ليه؟

الشاب : الخوف.

الطبيب : من إيه؟

الشاب : من الصدمة.

الطبيب : لكن تفتكر إيه في إيدي أقدر اعمله لك؟

الشاب : (مرتبكًا) ما هو..

الطبيب : مش معقول تكون قاصــدني عشــان أتدخل وأخليها تحبك.

الشاب : عمري ما فكرت في حاجة بالشكل ده.

الطبيب : وكمان لازم يكون مفهوم إنها لو.. لو.. يعني ولا مؤاخذة متزعلش مني لو إنك يعني دخلت دماغها كانت اهتمت بيك من الأول وبقى الحال غير الحال.

الشاب : إزاي هتهتم بإنسان أبله!

الطبيب : بس دي مش حقيقتك.

الشاب : بس دي فكرتها عني.

الطبيب : والحل؟

الشاب : لما هتسمعني وتعرفني مؤكد هتحبني زي ما بحبها.

الطبيب : فكرك كده؟

الشاب : شوف حضرتك أول ما دخلت هنا كان رأيك فيا إيه ولما سمعتني بقى رأيك فيا إيه.

الطبيب : (بحماس زائد) فرق كبير مافيش كلام.. لا، لا مفيش نسبة أبدًا الحقيقة.

الشاب : المشكلة في الجهل يافندم.

الطبيب : أيوه هو الجهل يخرب بيته.. لكن تصـورك إيه أقدر أعمله لك؟

الشاب : كل المطلوب إنها تسمعني.

الطبيب : ماشي بس...

الشاب : حضرتك الوحيد اللي تقدر تديني الفرصة دي.

الطبيب : أنا مش متأخر بس لازم...

الشاب : (مقاطعًا) أرجوك.

الطبيب : ما هو بس...

الشاب : دي مسألة حياة أو موت.

الطبيب : يا ابني إديني فرصة بس أوضح لك...

الشاب : الوقت فات يا عمي وبقى لازم تعرف أنا عيسى مين وعيسى إيه وعيسى إزاي وإلا فلا نزل القطر.

الطبيب : لا قطر ولا مترو يا ابني... إهدا كده بس وبلاش الكلام الكبير ده وقول لي إزاي أقدر أخليها تسمعك؟ قصـدي يعني ما هو لازم يكون في دماغك تصـور معين للدور اللي عاوز تسـنده لي... مش كده والا إيه؟

الشاب : (بلهفة) أيوه يافندم.. أيوه دا دور سيادتك متبروز في دماغي من سنين.

الطبيب : عرفه لي ينوبك ثواب عشـان أعرف راسـي من رجليا.

الشاب : تسمح لي أقف على كرسي زي ده؟

الطبيب : منصة يعني؟

الشاب : بالضبط.

الطبيب : يعني هتخطب؟

الشــاب : واعرفها أنا أبقى عيســى مين وعيســى إيه وعيســى إزاي.

الطبيب : (بعد تأمل) استتنا يا ابني لما أولع البايب.

(الطبيب يشعل البايب ببطء شديد وبتفكير عميق)

الشاب : ولع يافندم... ولع براحتك... شعللها الله يخليك.

الطبيب : (بعد تفكير عميق) عارف.. عندك حق.

الشاب : (متهللًا)... شفت سعادتك؟

الطبيب : (كما لو كان يحدث نفسه) العدل يقول كده.

الشاب : (لنفسه) أحمدك يا رب.

الطبيب : ومصلحتها كمان تقول كده.

الشاب : هو ده الكلام.

الطبيب : (لنفســه) أيوه.. ما هو صــحيح لازم تعرف عيســى مين وعيسى إيه وعيسى إزاي... هساعدك يا عيسى.

الشاب : ربنا يخليك.

الطبيب : وهقف جنبك.

الشاب : فضلك ده عمري ما هنساه.

الطبيب : (وكأنه يؤكد هذا لنفســه وليس للشــاب) أيوه.. أقف جانبه وساعده.

الشاب : حضرتك متعرفش إنت بقرارك ده عملت لي إيه.

الطبيب : لازم تعرف عيسى إيه وعيسى مين وعيسى إزاي ومن عندي أنا وعيسى ليه كمان... دي مهمة قوي لاحظ.

الشاب : (بحماس) هضيفها يافندم هضيفها.

الطبيب : ومن حظلك إنها زمانها جاية عشان عزماني الليلة على سهرة، بس لاحظ....

الشاب : خير؟

الطبيب : هيبقى معاها خطيبها.

الشاب : (بحماس) وماله أنا جاهز وكل واحد يبرز إمكانياته وهتبقى منافسة شريفة وإذا كان عاوز يطلع على كرسي هو كمان مفيش مشاكل ياخد له كرسي.

الطبيب (بحماس واضح) صح وياخد كرسي هو كمان ويبقى صراع كراسي، الله ليه لأ؟ لكن بالمناسبة يا ابني أقدر أعرف الترمس ده فيه إيه؟

الشاب : قرفة يافندم.

الطبيب : أظن عشان...

الشاب : التسليك يافندم.

الطبيب : عظيم بينها وصلت. جاهز يا عيسى؟

الشاب : على الآخر.

الطبيب : (بحماس) خلاص نخش على الشغل.

(تدخل منى وخطيبها وهي فتاة ممتلئة حيوية وكذا خطيبها الذي من الواضح أنه رياضي... طلعتهما تنم عن إقبالهما على الحياة)

منـــــى : مساء الخير بابي.

الخطيب : مساء الخير يا عمي.

منـــــى : عامل إيه يا بابا؟

الطبيـب : أهلاً يا ولاد أهلاً.. اقعدوا.

منـــــى : نقعد إيه يا بابا.. دا إحنا مستعجلين موت.

الخطيـب : عـاوزين نلحق البرنـامج من أولـه يـا عمي، دا برنامج هيبسطك قوي رقص وفن وفرفشـة وإية دنيا تانية.

الطبيب : صبركو عليا شوية.

منـــــى : مش خلصت العيادة... فيه إيه تاني؟

الطبيـب : فيه هنا إنسان عاوز يعرفك بنفسه.

منـــــى : أنا، ليه، فيه إيه؟

الطبـــيب : وانت يا مدحت يا ابني مش عوزك تاخد الأمور بحساسية.

الخطيب : مش فاهم... تقصد إيه يا عمي؟

الطبـــيب : (مواصلاً وغير حافلاً بتعليقه) واعتبرها منافسة شريفة.

الخطيب : منى.. فيه إيه؟

منـــــى : فيه إيه بالضبط بابي؟

الطبيـــب : شوف يا مدحت يا ابني، منى أخذت فرصتها في إنها تعرفك، لكن هل أخذت نفس الفرصـــة عشـــان تعرفه هو كمان بنفس القدر... بالطبع لأ وتفتكر ده عدل؟ بالطبع لأ.. وخلينا نقولها بقى بصـــراحة، ده راجل معاه ماجستير في القانون وانت معاك إيه غير البكالوريوس التعبان بتاعك؟ وبعدين دا الأكثر من كده وكده كمان إنه راجل مشغول بالمشاكل الأساسية التي تواكب حركة العالم.

الخطيب : مشاكل إيه يا عمي؟ مش فاهم.

الطبيـــب : ولا هتفهم، دا كلام كبير، كبير قوي قوي، دا كلام خاص بالبشـــرية كلها يا ابني كلام يفهمه الناس اللي فوق، فوق قوي وأنت متآخذنيش يعني في دي الكلمة تحت.. تحت.. تحت.. قوي.

الخطيب : (محتجًا) الله يا عمي!

منـــــى : (محتجة) بابا.

(ثم ينفجران في الضحك وكأنه قال نكتة)

الطبيـــب : وبصراحة بقى ومن الآخر خالص أنا عرفت هو يبقى عيســـى مين إنت بقى تبقى مدحت مين ومدحت إيه ومدحت إزاي ومن عندي أنا مدحت ليه كمان؟

الخطيب : منى، إنت فاهمة حاجة؟

منـــــى : أطفحه (ثم يضحكان) ما تقول لنا في إيه يا بابا؟

الخطيب : مش أنا اللي هقول، هو اللي هيقول. اطلع هنا يا عيســـى يا ابني (يشـــير إلى مكتبه) أيوه هنا. فداك المكتب واللي جاب أبو المكتب.. الله إحنا هنلاقي زيك فين ونلاقي من عينتك كام؟ دا أنت نادر المثال.

(الشـــاب يطلع على المكتب... الطبيب يملأ كوبًا من الترمس ويناوله له (بحماس شـــديد) خذ قربع من قرفتك وسلك زورك على الآخر وقول وقول يا أستاذ عيســي زي ما أنت عاوز.. قول كل اللي نفســك فيه وإلا فلا نزل القطر... الله.

(الشـــاب في إطار من الحماس الزائد يدفع القرفة إلى جوفه مرة واحدة وكأنها كاس وســـكي... تســلط الأضـــواء عليه وبينما هو يتأهب لإلقاء خطبته العصـماء تتاح الفرصـة لمني لترى وجهه بوضـوح فتتعرف عليه وتعتريها دهشة عظيمة)

منـــــى : (تشهق بصوت مرتفع) دا هو!

الخطيب : هو مين؟

الطبيـب : (بفرح) عرفته.. عرفته.. أشكرك يا رب.

منـــــى : والله العظيم هو.

الخطيب : هو مين؟ اتكلمي.

منـــــى : ما اعرفش.

الخطيب : والله؟ (ثم ينفجران في الضحك)

(الخطيب يضحك ثم منى تجاريه في ضحكه)

الطبيـب : بس.. شش.. سكوت.

(عيســى يقف متأهباً وينتظر حتى يصـمتا وبعد لحظة من الصـمت الطويل يناوله كوبًا آخر من القرفة يلقيه في جوفه دفعة واحدة بعد لحظة صمت أخرى ينطلق صوته هادرًا مدويًا بشكل لافت للنظر)

الشـــــاب : آنستي العزيزة منى، ثمة مشاكل أساسية تواكب حركة العالم ولكن قبل أن أســـتطرد أحب أن تعرفي أني عيسى وأني أحبك.

منـــــى : بيحبني يا مدحت متلحقنيش.

مدحت : بيحبها يا عمي متلحقهاش.

الطبيب : شش .. سكوت.

الشاب : سنوات وأنا أريد أن أفصح لك عن مكنون قلبي.

منـــــى : بيقول مكنون.

مدحت : هو اللي مكنون وستين مكنون كمان.

(يضحكان)

الطبيب : شش.. بس.

الشـــــاب : كم من مرة أردت أن أستوقفك في الطريق لأنبهك للخطر المحدق بك وبنا.

منـــــى : ابعد إيدك يا مدحت. (تضحك رغمًا عنها)

الطبيب : شش.. بس.. بدأ أهه.

الشـــــاب : البشرية يا مني عقلها يكبر وينمو يومًا بعد يوم بل دقيقة بعد دقيقة حتى أصبح وحشًا كاسرًا.

منـــــى : قلت لك ابعد إيدك بابا هياخد باله.

الخطيب : متخافيش.

منـــــى : مخافش إزاي!

الخطيب : بابا من ســـاعة مامتك ما ماتت وهو بقى في الباي باي.

الطبيـــــب : شش. بس قول يا أستاذ عيسى قول، عقلها بقى وحش كاسر... تمام.... اتفضل.

الشـــــاب : أما قلب البشرية يا منى فمتوقف عن النمو ومن ثم فهو لازال على حاله صغيرًا.

الطبيـــب : يعني حالة فقدان تناسب... لأ استناني بقى... دماغ كبير يبقى لازم يشيله جسم كبير وجسم كبير يبقى لازمه قلب كبير عشان يزوده باحتياجه من الدم أمال إيه؟ دي مسألة توازنات، وأنا حكمي بقى كطبيب بشري على حالة بالشكل ده إن ده وضع خطير وإن أجلاً أو عاجلاً لازم هيحصل انهيار (صارخاً) إدوني قرفة (يبتلع ما في الكوب بشراهة وبنفس طريقة الشاب ثم يصعد على سرير الكشف) يا أيها العالم.. بلاغ هام.. اسمعوا وعوا.. البشرية مقبلة على كارثة.

منـــــى : (صارخة) مدحت.

الخطيب : إيه.. فيه إيه؟

منـــــى : (ثائرة) مش عارف فيه إيه؟

(ثم تضحك رغماً عنها)

الخطيب : (بتبجح مصطنع) لأ مش عارف هه. (ويضحك هو أيضًا)

الشاب : استطاعت البشرية أن تنتصر على الزمان والمكان.

الطبيـب : أي نعم.

الشـاب : تحررت من الجاذبية الأرضية.

الطبيـب : حصل.

منـــــى : إعقل شوية يا مدحت عشان خاطري.

الطبيـب : ش.. سكوت.

الشـاب : انطلقت إلى الفضاء الخارجي.

الطبيـب : البركة في الصواريخ اسم الله عليها.

الشـاب : لكن هل استطاعت أن تتحرر من الحقد.. من الشر؟

الطبيــــب : محصلش من ساعة قابيل ما قتل هابيل وهي زي ما هي، غرقانة في خطاياها (صارخاً بنفس الطريقة) قرفة.

(يجرع كوب القرفة مرة واحدة ثم يصـعد على سـرير الكشـف صـائحًا).. بلاغ هام اسمعوا.. وعوا.. يا أيها العالم... البشـرية من يومها وهي خاطية.... الخطيئة هي بدايتها.

منـــــى : (بتوسل) بلاش يا مدحت.

الخطيب : أنا خلاص، خلاص لازم تكلمي بابا.. لازم يســمح لنا بالجواز بقى.

منـــــــى : (متوسلة لأبيها) يا بابا ماما فات على موتها أكثر من سنة كفاية بقى كفاية.. لازم نجوز بقى.

الخطيب : نكتب بقى يا عمي.

الشـــــاب : استطاعت البشرية أن ترى أحداثًا من الصغر بحيث لا يمكن قياســها إلا بالفمتو ثانية وعجزت عن أن ترى شـيئًا بحجم الجبال وبوضـوح الشـمس وهو الآه.

منـــــى : (صارخة) آه... ابعد إيدك يا مجنون.

الخطيب : مالك؟

منـــــى : ما تستعبطش.. اسمع، لأ... (تضحك)

الطبيـب : آه يا فكرية آه.

الشــاب : الآه هي وحدة الألم عند كل البشر.

الطبيـب : مضبوط عند كل البشر يقولها الغني والفقير الطيب والشـــرير الأبيض والأســود العالم والجاهل المؤمن والكافر (صارخًا) قرفة.

(يشرب قرفة ويصعد على سرير الكشف)

بلاغ هام اســـمعوا وعوا يا أيها العالم إحنا مش بني آدمين إحنــا نبقى بني آه بني واوا بني أخ بني فين يوجعك. فينك يا فكرية فينك يا فكرية خلاص كلك الدود خلص عليكي يا دهوتي.

منـــــى : (صارخة) شيل إيدك.

الخطيب : شلتها أهه.

منـــــى : أنت نقلتها.

الخطيب : لازم نجوز وفورًا.

الشــاب : آنستي العزيزة منى، لابد أن نفعل شيئًا.

الخطيب : نخش بقى يا عمي.

منـــــى : نخش بقى يا بابا.

الطبيـب : ش سكوت... كمل يا عيسى كمل.

الشــــاب : يملأون الحديد بالنار ويطلقونه علينا، عليهم، على الإنسان.

الطبيـب : كلاب.

الخطيب : عمي، مش هنروح الحفلة.
منـــــى : أيوه يا بابا، لغيناها.
الخطيب : هنطلع من هنا على المأذون عدل.
منـــــى : عدل يا بابا.
الخطيب : والفرح هنعمله بكرة.
منـــــى : بكرة عدل يا بابا.
الطبيـب : ش سكوت، كمل يا عيسى.
الشـاب : لا يمكن أن نترك لهم الحبل على الغارب.
الطبيـب : لأ الغارب لأ.
الشـاب : يجب أن لا ننخدع بوجوههم اللامعة.
الطبيـب : يستحيل.
الشـاب : وابتساماتهم الناصعة.
الطبيب : منافقين.
الشـاب : وياقاتهم البيضاء المنشاة.
الطبيـب : قبح كله قبح.
الشـاب: إنهم ذئاب.
الطبيب : مصاصو دماء.
الشاب : لابد أن نقصف أقلامهم التي يوقعون بها.
الطبيـب : نمنع عنهم الحبر.
منـــــى : بابا.

الخطيب : عمي.

الطبيـب : سيبونـي، قول يا عيسى قول. إدونـي قرفة.

(يقربع قرفة)

الخطيب : يا عمي إحنا لازم نروح للمأذون حالا.

منـــــى : أيوة يا بابا أرجوك.

الطبيـب : سيبونـي، قول يا عيسى.

الخطيب : يا عمي كفاية اللي بتشربه ده.

منـــــى : الخمرة دوختك يا بابا.

الخطيب : كفاية شرب بقى يا عمي.

منـــــى : بشويش عليه.

الطبيـب : سيبونـي، قول يا عيسى قول... يا خسارتك يا فكرية يا خسارتك يا فكرية.

(يشدونه برفق وهو يقاوم بينما الشاب يستمر)

المشـــكلة في المداد الذي يوقعون به قراراتهم، لأنهم يحبون أن يكون كل شـــيء مكتوبًا ومسـجلاً وقانونيًا حتى يقنعوا أنفسـهم ويقنعوا سـواهم بأنهم أسـوياء... يعملون على أن يسـجلوا أسـماءهم في كتب التاريخ، ملعون أبو تـاريخهم الملوث إحرقوا صـــنـــاديق الانتخابات التي يتخذونها مسـوغًا لجرائمهم، اقطعوا ربع إصبع كل منهم حتى يعرفوا الآه.

الطبيـب : (يقاومهم ويفلت منهم) دي بس، أقول دي بس.

(يصعد على سرير الكشف) يا أيها العالم اسمعوا وعوا اقطعوا أذرعهم، اقطعوا رقابهم.

(الخطيب يحمله من فوق السرير وينزله على الأرض)

منـــــى : كفاية بقى يا بابا.

الشـــــاب : المنافقون يتباكون على قتل الشيوخ والأطفال وكأن قتل الشباب شيء مشروع وهم لا يفعلون ذلك إلا لكي يدعوا أن لهم قلوب صرم.

(الطبيب يفلت منه) جزم.

الشـاب : البشرية تهتف لصرم.

الطبيـب : أيها العالم اسمعوا وعوا.. أنتم جزم.

يجب ألا نسكت يا منى.

(منى وخطيبها ينجحان أخيرًا في الخروج بالطبيب)

الشـــــاب : مني أنت في دمي يا منى.. منى أنت في كياني... خوفي عليك يقض مضـجعي.. رائحة اللحم البشـري المحترق تفوح من القارات الخمس... منى ضـعي يدك في يدي.. (وهي خارجة) لا تتركيني يا منى أنا في حـاجـة إليـك حـذار أن تتزوجي وتنجبي ويقتلوا صغيرك... يجب أن تعيشي في سلام.

(يستمر في إلقاء خطابه ويصـدر عنه كلمات غير واضـحة ولا معنى لها، وفي خلال ذلك تصـدر منه عبارة واحدة هي الإنسـان جل جلاله، ويعود للألفاظ التي لا معنى لها وتخفت الإضـاءة ويدخل التمرجي ليقول)

التمرجي : يا ريت يا ابني اعرف إيه علتك.

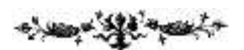
(ستار)

صدر للمؤلف

* آنسـتي العزيزة مني : نشـرتها الجامعة الأمريكية باللغتين العربية والإنجليزية .
* دماء على حائط المبكى – مسرحية .
* الفراعنة قادمون – مسرحية .
* موبايل – رواية .
* كفاية – مجموعة قصصية .
* المسافرون إلى أعلى – مسرحية .
* لغز الساعة – مسرحية .
* الطريق إلى هناك – رواية .
* اقعد وانت تفهم – مسرحية .
* ديفيد مغاوري – رواية .
* براثن الوعي .

تحت الطبع :

- رجل في نهاية الممر – مجموعة قصصية .
- حديقة الله المتجددة أبدًا – مسرحية .



الاتصال بالمؤلف

تليفون : ٢٥٤١٦٦٠١

فاكس : ٢٧٤٧٣٠٨٩

موبايل : ٠١٠٠١٠١٧٥٨٩

بريد الكتروني : fathy.abdelghany.hamed@gmail.com

حساب على الفيس بوك : فتحي عبد الغني

موقع الكتروني يرحب بالمبدعين : www.tegynfakar.com



ا بش

بدا

ر